

الحج بعبادته ومنافعه

والتنظيم المرجى لحل مشاكلكه المعاصرة وزحامه

بقلم ابن شهيد ميسلون

الحاج

مجلد ثانياً في الحج والعمرة

مدير جمعية ومجلة التمدن الاسلامي بدمشق

هدية مجلدة التمدن لعامها الرابع والاربعين

١٩٧٧ م

١٣٩٧ هـ



الإهداء

إلى (الرجل) الأصيل الذي لم تحاصره العشائرية والاقليمية في سجن عصبية
اثرتهما ونظرتهما بأفقهما الضيق فكان رجل العروبة .

إلى (العربي) الذي لم تخدعه الدعايات فتستدرجه إلى غورها المستكبر :
فكان (مسلماً) يؤمن بقوله تعالى : « نَحْنُ الْمُؤْمِنُونَ إخوة » لهم حق الاخاء
والتعاون والنصرة والولاء !

إلى (المسلم) الذي عرف حكمة التعارف والتعاون بين الأمم ففتح بصره
وقلبه وكفه ، وتوجه حينما توجه بعزيمة صادقة .

إلى (الملك) الذي شرف الله أمرته وملكه بجدمة الحرمين الشريفين لتتجلى
في أعماله (مواهبه) و (عقيدته) على مقدار حمله التبعة والنهضة بمنهج اسلامي
صريح صحيح يخرج به البلاد والعباد من الظلمات والمشكلات إلى النور ، وهو
يستهدي بهدي ربه لينهض ببلاده نهضتها ، بخطى ثابتة ، وعزيمة صادقة ، تسابق
العصر ولا تجاريه ، وتؤمن له من الاسلام خطاه .

وإن خدمة بيت الله الحرام وتطهيره ميراث بتوة ابراهيم واسماعيل عليهما السلام في هذه الديار المقدسة .

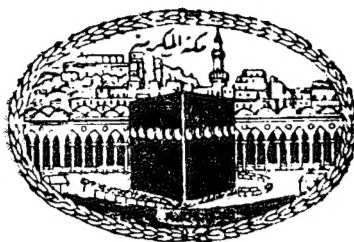
وإن تطهير بلده من مشكلاته ، وخدمة الحجاج كله ، لاحتاج من جلالته إلى تفرغ ساعة (لتقرأوا بالذات) ما سطرته (لمنهج) يعرض المشكلة المعاصرة بأسبابها ويبين خطة إصلاحها ، ويصر مع اليوم وحاجته غداً واتساع الحاجة رجاء أن تفوز جلالته بما يعم الناس نفعه . ويبقى لجلالته وامرته ذكره الخالد بثمرته ومثوبته الكريمة جزاء (من سن سنة حسنة) تسد حاجة الزمن في يومه وغده .

وإن في تعاون العلم بنصيحته مع العزم بسلطان حكمة فمرة خير ما يبتغى به وجه الله تعالى .

والله من وراء القصد

وهو ولي التوفيق

والسلام عليكم ورحمة الله .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

كتاب مفتوح

تحية وتذكرة

إلى صاحب الجلالة خالد آل عبد العزيز السعود المعظم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

١ - فان من تمام شكر الله سبحانه وتعالى على ما أنعم به علينا من أداء مناسكه منذ ثلاثة أعوام أن نقدم الشكر لما نرى من مزيد العناية ومواصلة الخطى في تيسير السبل لأداء المناسك عاما فعاماً !

وقد شهدت من أوائل هذه العناية عهدا السعودي (مظلة المسعى) - يوم كان المسعى سوقاً تجارياً ، عهد الوالد الجليل - تغمده المولى برحمته كما شهدت وقفة الحزم والعزم والخدمة لضبط وتيسير (الافاضة) من عرفات من عهد الأمير عبد الله الفيصل في مكة المكرمة

فإنكم (آل السعود) من تعظيم شعائر الله حرمة وتعظيم ، وجلالاتكم من بين عهدكم الجديد إن شاء الله البداءة الطيبة بهذا العمل الطيب الحميد الذي أتشرف بتقديم مقترحاته .

٢ - وإن العناية والاصلاحات التي تمت على رغم الوفرة وسعتها ، (بمثل توسعة الحرمين الشريفين) لا تزال تتغلب المزيد لأسباب في مقدمتها :

أولاً : إن الله بوأ لإبراهيم مكان البيت واختاره من أرضه في واد غير ذي زرع .

أ - وقد رشحته مع ذلك ليكون (كما دعا ابراهيم عليه السلام) بلداً آمناً .
ويكون للناس كافة سواء العاكف فيه (المقيم وابن الوطن) والباد (المقبل عليه من
البوادي) المنتشرة حوله ، وقد دعاهم الله إليه ليأتوا إليه « من كل فج عميق » من
فجاج الأرض وقاراتها المختلفة .

ب - ورفع تعالى مقام هذا البلد بالاسلام وسماه (أم القرى) عاصمة
لعواصم الأرض كلها ، تتوجه إليه القلوب المؤمنة وتعظمه وتعظم من يتولى خدمته
وأمنه وضيوفه ويعظم مناسكه وشعائره .

ج - وقد جاء الزمن الذي نفهم منه هذا المعنى على أتمه ، فليس (جنيف)
أو (نيويورك) أو أية عاصمة أو مركز دولي في أرض الله ، تنزل منزلة (مكة
المكرمة) = « أم القرى » ، مهما تعاقبت الدول والقرون وزهبت العواصم
والحضارات وذلك لشرف (المبادئ) التي تقوم عليها (بدين الفطرة) ، وإخاء
الانسانية والتي تعلمنا انسانية متحررة من كل عبودية لغير الله ، وهي إنسانية تستشعر
كرامة الانسان على ربه بما فضله به على كثير من خلق تفضيلاً بالخصائص الانسانية
وتسامها إلى رفيع الدرجات باستمرار واطوار .

ثانياً : وإن ما سارت عليه (الأسرة السعودية) من الإصلاح للمناسك (على
مثل الخطى من إعمار للمملكة كلها) هي بداية صالحة وخطوات مذكورة
مشكورة ، غير أنها بداية لا يكفي لها (في موقف حمل التبعة أمام الله سبحانه
وتعالى) أن نقول : ما فعلنا .. وما بذلنا ... ، لأن النظر عند حمل التبعات إنما
يتوجه على أساس ما مكنتنا منه تعالى من القدرة عليه ، وهياً لنا أسبابه ، فإن الله
جلب حكمته جعل التبعة على قدر السعة .

ثالثاً : وإن الأمم الحية لترحب دائماً بمقدم الغرباء على أراضيها ، وتشجع
ذلك بمختلف المغريات والبواعث ، وأمامنا نماذج عديدة لأمم يدخل عواصمها يوماً
الملبون بل الملايين ويخرجون بصورة طبيعية منظمة مألوفة ميسرة ، وتستزيد
هذه الأمم من ذلك لا عن حمل النعات إنما يتوجه على أساس بالدعايات وأنظمة

السياحة وإقامة المعارض ودعوة المؤتمرات ونحو ذلك وهم راغبون شاكرون
لا يتململون ولا يتكبرون من ازدياد هذا الاقبال عليهم .

رابعاً : وهذا حق (أم القرى) المفضلة به على جميع مدن الأرض وعواصمها :
أ - ولهذا فانه لا بد من الاسوة ومعرفة نظم الامم بهذا الصدد ومضاعفة
الجهود والعاملين عليها بغية التعجيل بالاصلاحات اللازمة وزيادة التيسير ، على
العباد وتأمين الحاجات في ضوء دراسة (الأمر الواقع) واعتبار الحج موسماً
يغتنم بمنافعه ديناً ودنياً ، لا عبثاً ينتظر له ساعة (الترحيل) للحجيج والخلاص
من أعبائه وتكاليفه .

خامساً : وقد يسر الله في عهد أسرتكم الميمون من أسباب الرخاء والعمران
ما يسر حتى من وفرة الماء وفي أرض الوادي الجديب الذي كانت وادياً غير ذي
زراع ، فأصبحت تزينه المياه والأزهار والحضرة والأشجار وأصبح قابلاً لاعطائه
عمرانياً وضعاً يناسب مركزه الدولي كأم القرى ؛ عاصمة لعواصم الدنيا

أ - ولم يعد من ذلك ما يتمذر مع مالديكم من صدق الرغبة والبذل السخي
ب - ونحن نرى للأسوة ما نرى من جهود الغير في بلادهم بنادج وفيرة بمثل
(المعسكرات العالمية) التي تشاد حتى ولو كانت مرة واحدة في الدهر كالمعارض
ومخيمات الكشفية ومؤتمراتها والالعاب الرياضية الدولية (الاولمبية) وما إليها
حيث توفر الاسباب فيها لراحة الزوار الوافدين ولو كانوا بالملايين وذلك على
أكمل نظافة ونظام ، ونحن أولى منهم بذلك

ج - وان ما يقتضي التنبيه له (عمرانياً) تنبيهنا له (دينياً) أن من أبرز
مبادئ ديننا الحنيف ما دعا اليه دعوة الحج كاه وذلك ليطهر النفوس حتى تعود
إلى فطرتها النقية مبرأة من الذنوب بحج مبرور مغفور وعمل متقبل .

وهذه الطهارة النفسية قد مهد لها الاسلام بطهارة للعبادة في نظافة الجسد
والثوب والمكان ، هذا إضافة إلى نظافة الخلق واللسان والجنان .

د - ولهذا وجب أن تكون من أبرز مظاهر الإصلاح :تنظيم أماكن العبادة والطهارة بها يمكن من سد الحاجة بها يكفي بحق بل مع الزيادة لارتقاب المزيد ومفاجآت الاقبال بين عام وآخر بحكم زمن سرعة المواصلات ومزيد القدرة والرغبة .

سادساً : إكرام الثراء وجانبه في وضع البلاد ومركزها الأدبي :

١ - إن الخير الذي فتح الله أبوابه (بآبار النفط ومناجم الذهب ووفرة المعادن من خبيثات الأرض) وحفظه لهذا العهد قد جعل العالم (في الداخل والخارج) يتطلع أول ما يتطلع اليه من الثروات الطبيعية المدخرة إلى اليوم على أنها ثروة عالمية تهز اقتصادياتها العالم كله في سلم وحرب حتى أخذت في الندوات الدولية والمؤتمرات تبحث تحت شعار خيرات الارض لأهل الارض جميعاً .

٢ - هذا إضافة إلى تطلع العالم الى موقع هذه الديار من مخطط العالم وملاحظة مركز أهلها التاريخي ودورهم الحضاري في العالم

٣ - لقد تفتحت أعين الاصدقاء متسائلة ماذا نعمل وذلك بعد أن تفتحت أعين الاعداء وهي تدبر من المكائد ما تدبر .

إن هذه النظرات الحديثة لتوجب تعجيل الاستفادة من هذه الثروات استفادة تنهض بالديار المقدسة أولاً وبالمملكة جميعاً ثانياً ، وترسم لذلك خططها بمتدة إلى ديار العروبة خاصة والاسلامية عامة ومنها تمديد اليد الى أنحاء الارض جميعاً بما يبلغ رسالة الله في حسن استخدام المال والثروات الطبيعية .

ونحن نعلم أن الله سيسأل يوم الحساب كلا عن ماله : من أين اكتسبه وأين أنفقه ؟

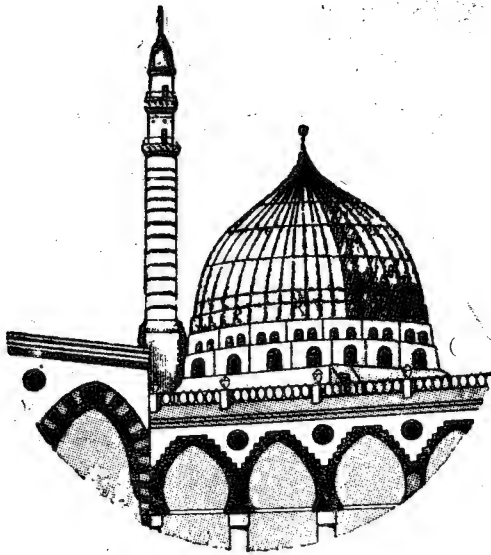
أ - وينبغي أن يكون في طبيعة البذل ما نبلغ به رسالة الله لهداية الناس كافة ابدءاً من تعليم الحج ومناسكه وطرقه الانتفاع من موسم قبل أن يفرض

الاستعمار علينا قيادته إلى ضلالاته بأساليبه الاستعمارية الجديدة المتسيرة بعدما فشل الاستعمار السائر باضلاله واستعباده لأمة العقيدة أمة القيادة ونحن نحمد الله أن حظينا بكتابه العربي المنزل ، فنحن أمة عقيدة ودعوة هادية أمرنا الله بتبليغها لنخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذنه

ب - هذا وان من فضول القول أن النهضة الصادقة لا تكون بتغيير الأثواب والبنيان والمرافق وإنما تكون على أصولها النفسية ثقافياً ، ذلك لأن ديننا دين كتاب وثقافة (دين عقيدة - ايدولوجية) يعلن دستوره القائل : **« إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »** من المشاعر والأفكار والبواعث والمقاصد والأعمال ، فينبغي أن نعطي النهضة والقيادة حقها على مستوى العصر ومؤسساته الثقافية تعليمياً وتبليغاً على مستوى وسائل العصر طباعة ونشراً وإذاعة (جمعية ومروية) بما ينهض بالامة نهضة إسلامها إلى مستوى العصر الذي تعيش فيه ونطلع اليه دون أن ننحرف إلى مناهج تبعد الامة عن إسلامها فكرباً أو نفسياً أو اجتماعياً أو بأية صورة من الصور التي تفسد ما تتميز به الشخصية المسلمة وهي المادة التي بنى الله منها بناء خير أمة أخرجت للناس

وهذا ما سنفصل فيه بعض التفصيل في بحثنا عن الحج معرض أمة وضئير دعوة ص ٣٥ على ما دعانا الله اليه وجعل من أبرز منائر إقامة الحج في كل عام وجعله مؤقراً لا بدانيه مؤقراً عالمي ، وجعله عبادة تضم فضائل العبادات كلها . وان حللنا لمشكلة الحج مشكلة الموسم والساعة يستتبع من النظر أدقـه وأوسعـه على مستوى فهمنا الحج بمعنى جعله تعالى لهر كتمان أركان الاسلام : بعدما أقام عليه بناء هذا الاسلام من تهذيب الفرد إلى تهذيب العالم تهذيب إمامته وكعبته المشرفة التي تربط القلوب والعقول وتوجهها من نقطة اشعاع واحدة تقيم عليها إمامة الإنسانية في الأرض كلها .

لمن الحج ليس موسماً واعباء وإنما هو ركن ودين وهداية
للإنسانية ، وان دياره كالكنيسة المشرفة لها مركزها الثقافي والحضاري
يشع منه النور وتتوجه اليه القلوب والعقول في العالم كله ؛ فلنقدر ذلك
حق قدره ولنؤد من نعمة الله وهدايته شكر ذلك بالعناية التامة والاصلاح
لجلدي والنهضة الصادقة والخطوة الرشيدة .
والله ولي التوفيق



اجمال النظر والخطة الاستراتيجية

- ١ - النظر الى الحج على أنه رحلة ثقيف وتهذيب وعبادة يوجب التعليم لها ومرافقة (المعلم) لأهل رحلتها حتى لا يبروا على آيات الله من طريق حجبهم وهم عنها معرضون من جهالة وغفلة وان تنظم تنظيم الرحلات الجماعية السياحية والثقافية في حلها وترحالها على مستواها العالمي .
- ٢ - مساهمة ادارة الحج بالاشراف على الحجاج من بلادهم والاستعانة بالملحقين الثقافين في القنصليات السعودية وبالجمعيات وأرباب الشعائر الاسلامية والعلماء العالمين ...
- ٣ - يبدأ الانتفاع من الحج كمؤتمر سنوي ومعرض دائم باعداد استمارة في كل قنصلية سعودية يتعرف منها الى شخصية الحاج علمياً واجتماعياً واقتصادياً وهم جراً حتى يستفاد من ذوي الكفاءات يابجان يعقد منها مؤتمر سنوي للاصلاح والتعاون الاسلامي محلياً ودولياً
- ٤ - تنظم مكة والمدينة وأرض المناسك من عرفات الى منى تنظيمياً ممرانياً وصحياً بحيث تعالج مشكلة الزحام وتيسر المواصلات وتسد الحاجات .
- أ - ويقام ذلك على أساس (مكة كلها حرم) و (ما بين لابتي المدينة حرم) وتفرغ لذلك من المباني طوابةها الارضية لتكون امتداداً للمسجدين بما يغني عن كل توسعه اخرى .
- ب - وتعمم لذلك مصورات وتعليمات سنوياً .
- ج - ويخصص لكل قطر مواطن دائرة وتجعل معارض دائرة الى جانب مؤسسات القطر كالبعثة الصحية ونحوها .

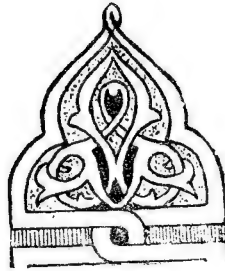
د - تنظيم استقبال الحجيج بنظام جديد يحل محل نظام المطوفين البالي تحت إشراف لجنة عليا ولا يعني تغيير النظام انقطاع موارد الحج المألوفة للمطوفين بل تجديد تنظيم ذلك بما يحقق المقاصد

هـ - ويخصص للمهتدين للإسلام وخاصة من البلاد المتقدمة (لجنة مضيقة) ويساعدها من الشباب الجامعي ونحوهم أعوان وتنظم لهم ندوات ومحاضرات وتوزع عليهم كتب ونشرات ومصورات وهدايا ..

و - وتجعل دعاية الحج دعاية موسم وإعلان مبادئ في معركة الصراع الثقافي الدولي .

ز - وقولف لجنة إصلاح ذات الين بين الاقطار الاسلامية وتقوم بدور توفيق العلاقات ...

وفي المقالات التالية تفصيل بتحليل وتعليل ومقترحات للإصلاح وبيان « والذين جاهدوا فيها لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المهتدين » .



الحج رحمة بمسا كلها وعملها

تمهيد لايضاح المشكلة وطرق حلها

أولاً : إن الحج رحلة :

١ - لاداء المناسك .

٢ - وشهود المنافع .

كما قال سبحانه وتعالى « ليشهدوا منافع لهم ، ويذكروا اسم الله » .
وإن الغفلة عن تحقيق القصد اضاءة له .

وإن مشكلة العصر من الضياع عامة ومشكلة المسلمين من إضاعة مقاصد شريعتهم مشكلة أخص ، فهي تتكرر في حجمهم عاماً فعاماً على رغم ما يبذلون من عناية وجهد أفراد وجماعات ، شعوباً وحكومات ، وذلك من ضيق النظر حين لا يحاط بالمشكلة إلا على مقدار الساعة ...

ثانياً : إن الحج ذكر الله وتذكركه :

(كالصلاة) من غفلة الحياة . وهذا ما يحتاج إلى فكر وبقظة وجدان حتى يعي الحاج ما يقول وما يعمل ولم يسافر ويتحرك من سكنه وعمله وبلده ويقبل على (الميقات) موطن بتداء نسكه باحرامه ، وكيف يكون في سفره وكيف يعود إلى بلده وأهله بعد حجه :

١ - وهذا ما يستلزم أن نعلم الحاج كيف يعد النفس لما تقبل عليه وما هي منافع الحج التي يطلبها ويسعى لها ليلتمس الأسباب للفوز بنصيبه من حجه في دينه ودنياه مادياً وأدبياً ويشهد آثار ذلك في نفسه وأهله ووطنه بل وفي حياة الانسانية والأرض جميعاً .

٢ - وان من عرف الحج بأحكامه وحكمته وأعد لها نفسه وأقبل على سوقها بنشاطه : كما أعد للسفر نفقته وأسبابه وتفرغه ، فإنه بذلك يلحق فينضم لأعظم وفد عالمي إنساني ويشارك بأجل معرض دولي للانسان والانسانية ، حين يدخل في (الميقات) بزمانه ومكانه مع الزمر من اخوانه المسلمين المقبلين له . أقبل عليه بقلبه وعقله « ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام » ولم يعيشوا في أرض الله عيشة الانعام الفاضل .

٣ - وإن إقبال الحجيج بعديده الضخم إقبالهم وهم على حالهم في بلادهم على ما توارثوه من جهل وغفلات وعادات سيئة كل ذلك وما اليه يجعل لقاءهم مشكلة بديل أن يكون لقاء ذكر وبقظة وشهود للمنافع الاسلامية لأكرم وفد على الله تعالى من خير أمة أخرجت للناس هداية الله لحلقه :

أ - ومن هذا الحال توأم بكثره إذا تلاقوا لم يتعارفوا ، وإذا تراحموا لم يتراجحوا ، وإذا تحدثوا كانوا عن الله معرضين أحياناً كثيرة ، وإذا تعاملوا لم يتناصفوا وبدت الاساءة في كثير من المعاملات بينهم ، ولم يجدوا من نظام البلد بتطوافه ومطوفيه ما يهديهم إن لم يزد له سوء الحال إفساداً ووبالاً ...
ب - هذا بينما يعلن الله لهم الخطأ الواجبة (من مبدا الميقات من الزمان بأشهر الحج إذ يقول سبحانه وتعالى : « فمن فرض فيهن الحج » .

١ - فلا رفت - من لغو الغزل وحديث الشهوات بله ما يزيد على ذلك .
٢ « ولا فسوق » (ينحرف به الحاج ويبتعد عن طريق الله المستقيم وهو في موقف عبادته) .

٣ - « ولا جدال » (يثير ما تثيره الكلمة في مثل هذه الحال أخذاً وعطاء يعرض عن الله ، باختلاف وخصام .

وان بداءة الحج من هذه الخطوة وخطتها تبلغ الحاج (من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه) على الفطرة النقية مغفوراً ذنبه مبروراً حجه « متقبلاً سعيه وعمله .

ج - وان البعد عن هذه الخطأ (مشكلة) وأي مشكلة ، وان حل هذه الظاهرة من المشكلة يقوم على تنظيم الرحلة والاعداد لها بالتعلم والتعليم ، فان الجهل بالاحكام الشرعية وحكمها هو أول المشكلة .

د - وان شهود المنافع من الحج يبدأ من خطوتنا الأولى هذه : وذلك بالتعاون على تعليم الحاج مناسك حجه واعداده نفسياً وفكرياً لما هو مقبل عليه وتنبيهه إلى المنافع التي ينبغي أن يكتسبها وأن يعود بها من حجه ليكون حاجاً بحق على علم وهدى من الله سبحانه .

هـ - أما ترك تعلم مناسك الحج الى مصادفة الطريق ومن يتعلم منه ما قد يتعلم على هدى او ضلال من أقران وأمثال صادفهم أو صاحبهم ، وارتقاب أن يتعلم في الحج من المطوف بل من أحد خدامه ما يلقنه ، فهذا معناه حشد الوفود بجها لاتنها إلى معلم - إن كان كفواً - وصدق التعليم والنصح لم يجد من الوقت سعة في زحمة الحج وموسمه .

و - ولهذا يجب أن تكون بداية التعليم للحاج واعداده النفسي من أرضه وبلده حيث يجد لذلك من أرباب الشعائر الدينية من يفقهه في شعائر حجه والعلماء بذلك من حيثاً أقبل الحجاج أوفر وتعليمهم أيسر ووقتهم أوسع من زحمة الحج في بلده وأيام مناسكه ، وان من لم يكن لهم معلم في بواديهم وقراهم فانهم يجدون من يفتيهم من علماء مدنهم أو عاصمتهم وفي أقرب بلد يرون عليه ويتوفر لهم فيه هذا التعلم .

ويسهل تعليم الحجاج في أيام بيلادهم ولذلك لا بد من تعليم الحجاج حتى يكونوا عند اقبالهم أهلاً ليلحقوا بأضخم وفد عالمي في أعظم معرض دولي لأجل مشهد إنساني يقبل عليه وفد الله على بيت ربهم ليتاجوه وليطهروا أنفسهم ثم يعودوا عودة من فاز باكبوز نصيب من حجه المبرور .

ز - وان تنظيم التعليم ينبغي أن تتعاون عليه الحكومات التي تعني بالحج والمعلمون والخطباء والوعاظ والدعاة إلى الله الذين يهتمون بالحج ويدعون.

له ، فيجمعون الحجاج في ميقات محدود الزمان والمكان في مثل مساجد تحدد لذلك اسبوعياً بل ويومياً عند اقتراب الموسم ليتعلموا المناسك وأخلاق القرآن وخاصة مع استخدام (وسائل الايضاح كالصور) وتقديم النشرات والكتب الصغيرة المفيدة التي تحقق هذا القصد

ح - ويجب أن يكون للمحققين الثقافيين في القنصليات السعودية دور إيجابي في التعليم والتنظيم وتعمم بواسطتهم التعليمات وشروط الحج
ثالثاً : ويجب تنظيم وفود الرحلات تحت إشراف معلم بصاحب زمهرم في مثل السيارات والبواخر والطائرات ليصاحبهم بأرشادهم وتعليمهم وخبرته ومساعدته وإدارته ...

١ - وإن هذا التنظيم قد أصبح معتاداً في الرحلات السياحية في العالم وتشجعه الحكومات والشركات والمؤسسات حتى أن المدرسة ولو كانت ابتدائية إن عازمت على رحلة وكانت تحترم نفسها فانها تنظم لرحلتها برنامجاً ثقافياً حتى تري طلابها (حينما حلوا وارتحلوا ولو ساعة) مائة من مشاهد يجب أن يروها وينتفعوا من مشاهدتها وخبرها وعبرها

٢ - وهذا ماحث عليه تعالى بقوله : « قل سيروا في الأرض فانظروا ، فان السفر والرحلات أصبحت من أصول المناهج الثقافية المعاصرة ، فكيف وقد حث عليها القرآن بمثل هذه الصراحة منذ أنزل الله كتابه للناس هدى ونوراً ...

٣ - وإن العناية بتوصيل الحجاج (عند قدومهم من بلادهم) إلى الحجاز وبعادتهم إلى بلادهم بعد انتهاء مناسكهم إذا لم تصاحب ذلك هذه العناية الثقافية فان أمر ذلك يصبح كما هو الواقع بأيدي من يتحكم بالحجاج (تحكمه بشحنات البضائع بل والدواب أحياناً) يسوقهم متى وكيف يشاء ويستوي في ذلك حال الحجاج حتى اليوم مع متعهدي الباخرات بحراً ومواق السيارات برأً بل والعاملين في الطائرات جواً ، ولم يجد فيهم من يسخر من الحجاج وعبادتهم ، بل ولم رأيت

من حال بينهم وبين راحتهم حتى يتدخل بهم في شؤون عبادتهم وهو يسمعهم
(من سوء خلقه) سوء مقاله إضافة إلى سوء المعاملة

٤ - هذا وان لكل بلد بحكم طريقته الى الحج برنامج رحلته ، وللحجاج
جميعاً في ديار الحجاز برنامج مشترك ، ومن ذلك :

أ - الوقوف عند الآثار ليروا في جملة ما يرون مثل أحداث الهجرة ومواقع
الغزوات اضافة إلى مشاهد أمتنا في تاريخها بما يرون في آثارها الباقية وعاقبة الذين
من قبلهم ممن أجرى عليهم تعالى سنته في حكمه على الحضارات وأهلها وهم في
أوج القوة من علم وصناعة وفن وسلطان ، ثم أبادهم وأباد حضارتهم وأبقى للعظة
والعبرة أخبارهم وآثارهم

ب - ولينظروا من آيات الله في الطبيعة « كيف بدأ الخلق ثم الله بنشئ
النشأة لآخرة ، بما ثم من آثار الطبيعة وما تدل عليه أدوارها التكوينية (الجيولوجية)
وأطوار الحياة والقرون التي مرت ، وهي تدل بآيات الأكوان على مكنونها
سبحانه وتعالى فتزبد في الايمان معرفة وعمقاً وخشية لله ، و « انما يخشى الله » ،
حق الخشية من « عباده » المتعبدين « العلماء » بمثل هذه الآيات البينات .

ج - ولكن المسلمين في رحلتهم الى حجهم رغم هذه الأوامر الالهية
لا يبصرون ذلك « وكأين من آية في السماوات والأرض يرون عليها وهم عنها
معرضون » من جهالتهم وعدم تذكريتهم بها وتعليمهم لها .

وان في تنظيم الرحلات وقيادتها بأهل العلم والنظر (كأدلاء السواح في
العالم) ما يتلافى ذلك

د - إن رحلة الحج رحلة ثقافية تعبدية تبصر من التاريخ أحداثه ، ومن
الكون نشأته وأطواره وظواهره ، فهي أجل رحلة علمية حين ننظم لها برامجها
العلمية التعليمية في كل بلد من قبل علماء اجلاء تحت إشراف من يتم بالحج وثقافته وفي
مقدمتهم (الملحقون الثقافيون) في القنصليات السعودية ، فان هذا من أبرز

وجائهم الثقافية والوظيفية ماداموا ينتسبون الى حكومة ترى الحج وأهله وتعمل
لخدمة الحجيج وتحقيق مقاصد الحج وشهود منفعه ، والملاحقون الثقافيون بحكم
وظيفةهم يحسون بالصرع الثقافي في العالم وكيف انتقل بذلك الى مرحلة عالمية
من التعارف والدعاية في سبيل التقارب بين الامم حتى أقيمت لذلك دولياً
مؤسسة الأونيسكو وعقدت المعاهدات .

وان أول خطى التعارف بين المسلمين أنفسهم بعرفة بلادهم وآثارها الى
جانب معرفة نظرات دينهم وأصوله وأركانه كالحج من عباداتهم ، فان النظرة
الثقافية الى ذلك وتعريف العالم بها عامة والمسلمين خاصة من أبرز مهام الملاحقين
الثقافيين ... حين نعرف معنى كلمة « الثقافة » وحققا .

هـ - والرحلة من الشام : مثل أقدمه لما ينبغي الوقوف عنده لمشاهدة التاريخية
وغيرها . ليكون تنظيم الرحلات في كل بلد على نحو ذلك :

إن الحاج الذي يخرج من دمشق برأ يمر بآثار عديدة في دمشق وما حولها
فاذا تخطى الحدود الى الأردن رأى مثل خرائب جرش الضخمة وملاعها ، فرأى
من التاريخ أمة وحضارة هائلة دمرها الله عليهم وذكر أن للكافرين أمثالها سنة
الله في خلقه وبذلك يتعرفون على الأسباب التي تنهض بالأمم حتى إذا مر الحاج
بعمان عاصمة الاردن رأى من مدرجها وحياة الاستعمار الروماني ما يتعرف عليه
ورأى في مشارف عمان مغارة (أهل الكهف) التي أوى إليها فتية الايمان
على ما ذكرتهم به سورة الكهف .

واستعرض وعرف من أخلاق الرومان في ملاعهم وأصول حضارتهم ما دمر
الله به عليهم رغم قوة بنائهم . ثم عرج للعبرة على (البتراء) يرى كيف تحتمل
جبالها لبلد ومحكمة ، ثم قد يرى الحاج من بعد في داخل الحدود السعودية مدائن
صالح (كما يرى من ثم (تبوك) بغزوتها وثود بآثارها ووادي القرى وخيبر

(الظاهرة الثانية من مشا كل رحلة الحج) :

أولاً : المساكن :

١ - تأتي الخطوة الثانية (بعد التعليم والنبصرة بالحج ومقاصده والاعداد له والاستفادة من رحلته) تأتي مشكلة تنظيم (الحاجات) بدءاً (من مساكن) الحاج في حلمهم وترحالهم وتيسير الاسباب لهم .

٢ - وان السبيل إلى ذلك التعارف بين الديار المختلفة وهذا يدعوا إلى تنظيم منازلهم وأرقامهم وإقامة المراكز الثابتة حينما حلت بهم المناسك وذلك بتخصيص محلات معينة لكل قطر من اقطارهم ، على نحو تنظيم المخيمات والمعارض الدائمة ، وبما يعرف فيه كل قطر ببلاده ويكون ثمة المستقر لبعثاتهم (الادارية والثقافية والصحية ، ومن ثم يكون المستقر والمعرض الدائم لمعرضاتهم (بعد أيام المناسك) في مدينة (جدة) لأنها ملتقى طرقات الجو والبحر والبر ، فهي مركز صالح للاستقرار والعرض والتعارف وشهود المنافع التي تشغل عنها العبادة في مواطن المناسك :

أ - إن أسواق العرب الرحل من عهد جاهليتهم نظمت تنظيمهم المادي للتجارة والأدبي لمثل القاء اشعارهم وعلان مبادئهم ومفاخرهم .

ب - وان طائفة الشيعة بحكم منهجهم (في الرحلات ومظاهراتها بزيارات الأضرحة وخاصة لأنتمهم وما إلى ذلك) قد جعلهم حكومة وشعباً يبدأون هذه الخطوة التنظيمية ونرى لهم من مجتهدهم وعلماهم من يصطحبهم ويوجههم كما نرى أثر ادارتهم وحكومتهم في توجيههم وتنظيمهم .

ج - وان وفرة اهل السنة والجماعة وتعدد اقطارهم لتفرض عليهم مثل هذا التنظيم الذي سبقوا اليه .

٣ - وبهذا التنظيم يتحقق مقصد التعارف بين وفود الحاج تعارفاً فعلياً بمعرفة اوضاع كل وفد في بلده وخيرات وطنه ومؤهلات أهله وسبل التعاون

عبر عنها وحصتها وثروتها ونظام المستعمرات اليهودية وتاريخها في بلاد العرب واستعرض من ذلك ماضيها وحاضرها وأفكارها وما تطمح إليه الصهيونية .

وقد سمعت بأذني من المليك عبد العزيز آل السعود رحمه الله في إحدى سنوات حجتي ان اليهود عرضوا عليه (شكاً) مفتوحاً موقعاً ليمأله بالرقم الذي يريد على أن يعيد إليهم (حصن خير) فان المطامع الصهيونية هذا بعض مطالبها السافرة فكيف بما تخفي من براجمها ومناهجها التي لا يبصرها ولا يقدرها من لا يستعرض من التاريخ والآثار الأخبار في ضوء ما فصل القرآن من ذلك ما فصله للعبرة والتبصرة .

ثم يشهد الحاج ما يشهده في (المدينة) وهو يمر من مواقعها وآثار غزواتها وأخبار وحيا فيسلم على الرسول وصحبه الكرام عبوراً إلى البلد الحرام الذي أقسم الله به (مكة المكرمة) وكانت بين هذين البلدين نشأة الاسلام ورسوله ومنازل وحيه أيضاً في مواقع لها وقفات .

وثمة مشاهد الغزوات النبوية ومنها (أحد) في المدينة ، و (الخندق) وثمة غير بعيد « أول مسجد أسس على التقوى » في قباء وأول مسجد بجواره أقيمت فيه أول جمعة ، وغير بعيد كذلك من المدينة مسجد القبلتين حيث بلغ أهله فيه إبان الصلاة تحويل القبلة إلى الكعبة المشرفة وإلى ما هنالك من مشاهد وآثار وعبر... يجب أن تنظم لها أوسع البرامج والمخططات الابضاحية في أمتع الرحلات ، لو ذكرنا من القرآن الكريم ما فصل من ذلك وما احت عليه بمنزل قوله تعالى « وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون » اتروا آيات الله وعبر الحياة وسنته الاجتماعية في خلقه وما توحى من تربية يقوم عليها بناء الأمم في تقدمها وتوضيح لها طريقها النيرة مبشراً بما تطمح إليه ومنذراً من الهلاك وطريق الدمار الذي تسير عليه على مثل حال العالم اليوم على اختلاف مبادئه ومنازعه مشرقاً ومغرباً وقد ضلت بالعالم جميعاً عن سبيل ربه الهادية النيرة .

معهم ، فان (تبادل المعلومات) ينتهي إلى تبادل المنافع المادية والأدبية بين أقطارهم ، وهذا ما حمل غير المسلمين على ان يجعلوا لمثل ذلك مؤسسات سموها علمية أو تجارية ونوعوا لها الأسباب ، وما أخرجنا إلى معرفتها لتتقي الأخطار بأسوة ويقظة وبصيرة وإعداد وعمل .

ثانياً : المطوفون :

وان عدم الأخذ بالتنظيم للأسفار والرحلات وأساليب الرعاية للغرباء قد ترك الأمر إلى نظام المطوفين البالي ، وكان قوامه ادعاء ودعاية كل مطوف لنفسه بنفسه أو بالواسطة - احتساباً أو سمرة - وذلك ما كان يجعل الحجاج ترددهم عند مطوف وفي مكان فلا يلقون حينئذ حاجتهم من العناية ويلحقهم ما يؤذيهم من الإهمال وسوء المعاملة بل وسوء الاستغلال بحكم مبدأ العرض والطلب من جهة وقدرة المطوف وهمته وأعرافه من جهة ثانية .

١ - وكان هذا بواقعه ومعاملته في غالب الأحيان مبعث التذمر والشكوى وسوء الدعاية التي ليست في صالح احد لادينيا ولا دنيويا لا لشعب ولا لحكومة وان الاحساس بذلك قد حمل الحكومة من قريب في عام ١٣٩٥ هـ على ان تفكر بخطة جديدة فاذا بها تقتصر على أن توزع بها الحجاج على المطوفين كان الأمر مداره على تفاوت هذا التوزيع ، وزادت بذلك المشكلة تعقيداً ان حرم الحاج ما كان يؤثره لراحته من حرية اختيار من يريده من المطوفين للنزول عنده ، ثم انقلبت رسماً مفروضاً لمن يمنع ذلك ولو نزل عند غيره التماساً لراحته فدفع الحاج الاجر مضاعفاً باسم الرسم مرة لمن فرض له واخرى لمن نزل عنده بالفعل .

ان حاجة الحاج هي الاصل والتنظيم انما هو لتنظيم والتأمين حاجاته وتوفير وتيسير الخدمات له .

وإذا كان الناس يذهبون حيثما ضربوا في ارض الله بأسفارهم لا يجدون نظاماً يشبه نظام المطوفين أو المازورين ، فعنى ذلك ان هذا النظام البالي ليس اصلاً

ليحافظ عليه بذاته ويرقع باسم الإصلاح ترقيعات يزداد به تعقيداً و استغلالاً .
ان اختيار الحاج لمقامه أصل وما تسجيله على اسم مطوف إلا فرع لمثل الشؤون
الادارية كالسفر .. والأساس في إصلاح ذلك أن يشبه (نظام الفنادق) من جهة
مختلطاً من جهة ثانية (بنظام الرحلات الجماعية) ، وعلى هذا فانه ينبغي ان
يحافظ على هذا الأصل من حرية الحاج في اختياره لمطوفه ، بل ويجعل من حقه
الانتقال والارتحال عنه تبعاً لما يجب كما يرتحل كل مسافر عن فندق لم تتوفر له فيه
الخدمة والراحة فيقوموا بذلك من قبل الناس على اساس الخدمة الحقيقية بما
يرضي النزلاء .

٢ - ولهذا يجب التعاون حقاً وصدقاً بين الجميع لتوفير الحاجات وتيسر
الأسباب (وبأسعار) معتدلة وأوضاع مقبولة تحمل من السمعة أطيها عن أشرف
بلاد الله ...

٣ - وقد بدأت الحكومة السعودية من (الاشراف على المطوفين) للتنظيم
ولكن جزئياً ، وكان من ذلك استلاف ما فرضه لهم بواسطة قنصلياتها .

وان الخطوة الثانية من التنظيم ، إشرافها على توفير الخدمات ورعاية النظام
الضابط لذلك ، كما تفعل البلاد التي تعنى بالسياحة والسواح والمصائف فتراقب
معاملاتهم بجولات عليهم والاشراف على من يتولى أمورهم في منازلهم أو مواطن
خدماتهم ...

٤ - وهذا ما يقتضي أن تتولى تنسيقه (لجنة إدارية عليا) تشرف على المطوفين
ولو أنها منهم ، ترقب كل مطوف وما أعد من الحياض والمنازل وما يوفر لضيوفه
من الخدمات فتشرف على ذلك اللجنة وتحدد لكل مطوف من النزلاء على قدر
احتماله ، وتحدد الحد الأعلى لأسعاره وذلك بطريقة عمية (لاقرطاسية خيراً
على ورق) ! .

وسبيلها إلى ذلك أن يكون تحت تصرف هذه اللجنة العليا من المباني وخاصة

التابعة لأوقاف الحرمين ، ما يمكنها من ذلك فتكون (كالتاجر الأول) في هذه السوق ، بيده امكانية رفع الأسعار بها وتخفيضها فتستقر الأسعار وتحدد ، أما كن ينسبها على اختلاف الأحوال تحدد في حال الازدحام فوق العادة وضرورتها كما تحدد في حالها المرتقبة الطبيعية ، دون ان تجعل للعرض والطلب سلطانا اول يغتفلو الأسعار غلاء فاحشا بغلوها الجنوني الذي يحدث ازمة وتدمرا وسوء حالة . . .

أ - وينبغي ان يكون لهذه اللجنة العليا من الصلاحية ما يمكنها حتى عند الضرورة من تحمل خسارة ما يزيد عن الحد الذي تحدده من الأسعار بحكم إشرافها ويكون المورد لتحمل ذلك بما تمدها به موارد في طبيعتها بنايات الاوقاف المؤجرة نفسها وما ينبغي ان يشاد منها في مثل حرم المدينة في الباحة التي الحققت بالحرم من وراء جدرانها القائمة اليوم وذلك بإشادتها طوابق على اعمدة يسكن منها ما فوق الطابق الأرضي الذي يبقى امتداداً للحرم ، هذا اضافة إلى معونة الحكومة بحيث تستطيع هذه اللجنة العليا ان تمنع (اضطراب الأسعار) واختلافها بمثل ما صارت اليه فوضاها في بعض المواسم من زحمة الحجيج حتى اصبحت الاسعار والاجور خيالية جنونية لاتطاق

ب - وتستطيع هذه اللجنة العليا ان تستعين لمهمتها بالخيام تقيمها في مخيمات قعدها حول مكة والمدينة اذا بلغ الامر حد الضرورة لاستعمال ذلك من زحمة الحجيج مفاجئة فاقت التقدير والمتوقع .

ج - وعلى مثل ذلك تكون مخيمات الحجيج في عرفات ومنى تحت إشراف هذه اللجنة العليا .

د - وربما كان الأجدي ان تجعل لذلك (الخيام) وقفا على الحجيج كما تكون عادة خيام الجيش ملكاً للحكومة تسكنها جنودها . (وانما تكون هنا للحاج لقاء رسوم تجل محل الأجور) محددة لاتتلاعب فيها الأهواء من تأثير العرض والطلب .

وبذلك ونحوه نضع حدوداً أمام طغيان موجة سوسمية كالسيل تأتي جارفة -
بطغيان الاسعار والأجور !

هـ - وعلى هذا النحو تحدد أيضاً نسبة الأرباح المعتدلة فلا تطغى بين موسم وآخر ، ويجب أن يراقب من يتجاوزها فتؤخذ منه ضريبة الأرباح على نسبة تجاوزه ، فيكون من إساءة استعماله حرته في السلطة على بضائعه ، ما يقابل ذلك بهذا الجزء من سلطان الحاكم عليه .

و - وهذا وجه من (تنظيم الحسبة) التي سبق الاسلام اليها العالم ، بغية منع التلاعب بالاسعار وسوء الاستغلال وقبح الاحتكار .

ز - إن رقابة الأسعار منعاً لسوء الاستغلال والفساد بين الناس وخاصة في موقف تقوم فيه العلاقة بين الحاج وأهل الدار التي احبها واقبل بهدى الايمان اليها وعلاقته تقوم على اساس من الدين والعبادة والاخاء والمحبة ومن أهم مايجب الاصلاح بين الناس وإقامة العدل بينهم فلا يتظالمون وخاصة في موقف تستوجب فيه المودة والالفة والمحبة والرحمة والاكرام .

ح - وهذا ، ماأخذ به (حلف الفضول) من قبل الاسلام فقد جعل من واجب كرام مكة سد حاجات الغريب وحماية الوافد على بيت الله ، فهو ضيف الله أهل الأكرام ومن جهة ثانية هوا بن السبيل من غربته يحتاج في هذا المقام إلى حمايته من ضغط الحاجة وضغط الاسعار وما يثير اللجاج والجدال والتذمر والشكوى بما ينافي وضع الحج وعبادته وحرمة الحاج ، ويوجب ان نكون عوناً للحاج على صيانة هذه الأخلاق الكريمة فلا ندع له أسباب التذمر من سوء الاستغلال بل والمهانة ثم نطلب منه الرضوخ لأنه مأمور بمجانبة الجدال بله الخصام في حجه فإت من أمر الحاج بذلك أمر كذلك ان نكون عوناً للأخ المؤمن على بره .

إن توتر الأعصاب لها أسبابها التي تؤدي إلى اضطراب السلوك ، فينبغي

معالجة الأمور بأسبابها لا أنت نحمل الحاج تبعثها ونترك من سوء الوضع هذه المثيرات .

ط - إن الذي أمر رسوله أن «طهر بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود» وشرف بذلك إبراهيم وابنه إسماعيل منذ بنائهما الكعبة بأمره سبحانه ، إنما امر بذلك ليتفرغ الحاج لطهارة نفسه ومناجاة ربه ودعائه واستغفاره وتسبيحه وتقديسه ، وهو سبحانه وتعالى الذي يوجب من ذلك على الحكومة في هذه الديار المقدسة أن تهتم باعداد الاجواء الصالحة في الحج لتكون أيامه ودياره طاهرة من كل ما يعكر هذا الجو الروحي الأمل الذي جعله الله فريضة عمر تطهر الانسان وترجعه إلى الفطرة النقية كما نشأ في احضان والديه على الفطرة .

و - ان المفاصل التي تحول دون تحقيق هذا القصد كلها من شأن (الحسبة) في الاسلام أن تعالج .

هـ - وإذا كان نظام المطوفين بالأمس فردياً عشائرياً اقليمياً ، فقد أصبح اليوم بوفود الحجيج الزاخرة المحتلطة من انحاء العالم مشكلة حللتها الامم التي جعلت للسياسات والدعابات والتنقيف الشعبي وتأمين الحاجات بمؤسسات ووزارات :

أ - ولهذا وجب تطوير نظام المطوفين بهذا الاشراف المنظم على نحو ما سلف قمت اشراف لجنة عليا تجدد وتسهر وسنزيد هذا البحث تفصيلاً لأهميته ص ٥٤ .
المهتدون الحديثون :

وجاء العصر الحاضر بموقف جديد لحجاج جدد لم يكونوا من قبل محل نظر لندرتهم ، وهم أبناء الديار القصية ومن الامم التي دخل وفدها بالاسلام حديثاً وخاصة من البلاد الراقية حضارتها ، فانهم دخلوا في الاسلام حديثاً حين عرفوا من الاسلام مبادئه وثقافته ، فهذا ما حملهم على ترك دين آبائهم ومجتمعهم واعتناق الاسلام .

١ - فلمهم أيضاً من بيئتهم وحضارتهم بنظامها وراحتهم فيها ، معياراً للتقدير ولهم من نظرهم بسمو مبادئ الاسلام ما يقصدون بالحج ولقاء الحاج ومطلبهم الاول

أن يروا أثر الإسلام الحي بواقعه في أم قراه وفي جوار رسوله الأكرم ﷺ
ب - فمثل هؤلاء القوم تجب لهم العناية الخاصة على مثل عناية الرسول ﷺ
بالوفود حتى الأعراب والمؤلفة قلوبهم ، ليمتلىء قلوبهم بحب الإسلام ويزدادوا
إيماناً ويعودوا بعزم إلى قومهم دعاة إلى الله وقد ازدادوا علماً وبرهاناً من حسن
المعاملة وبما قدم لهم من المعلومات التي يحتاجون إليها في عصرهم وبينتهم وهي تنظم
لهم أمورهم في بلادهم تنظيمها الإسلامي الجديد المرجى لاصلاح مقاسد ما كانوا عليه
قبل اسلامهم :

١ - ولهذا يجب أن تخصص لهؤلاء القوم لجنة من المضيفين من أرباب الثقافة
والمنزلة فيحيطوا بهم إحاطة العون والإكرام والتعليم وتوثيق روابط إخاء
الإيمان وتنظيم الدعوة إلى الله في بلادهم وينبغي أن يكون (اللجنة المضيفين الخاصة)
التي تشرف على ماسلف اعوان من الشباب وطلبة الجامعات والكشافة وأعضاء
الاندية الرياضية والثقافية .

وينبغي أن نعد لهم محاضرات للتوجيه ومجالس للبحث والسمو فيعودوا إلى
بلدانهم بأحسن دعوة وأكرم دعاية وأطيب فكرة عن الإسلام واهله معاً .

ب - وبمثل هذا التنظيم نجعل لهم برنامجاً سياحياً ثقافياً بصورة خاصة تزيد
عناية على برامج السياحة العامة لبقية الحجاج .

بهذا نعد من الحج أعظم موسم سياحي عالمي ، وعلى ذلك يصبح اهتمامنا بزيادة
أيام الإقامة للحجاج بديل ترك الأمور على حالتها الأولى من المطوفين وإدارة الحج
وهما على وضعهما الراهن القاصر ، حتى لا يكون هم الجميع شعباً وحكومة إلا تعجيل
تحويل الحجاج على حد الشعار القديم القائل (زادك وزوادك يا غريب ارحل
لبلاك) . . .

إن التنظيم للحج ينبغي أن يعد على مستوى هذا العصر لنجعله محققاً للمنافع
على قدر العصر ، ولا يجوز أن يبقى على ما وجدنا عليه آباءنا من الحالة المؤسفة وبمثل
هذا نعود بحق خير أمة أخرجت للناس في هذا العصر أيضاً .

منافع الحج

١ - ان اعتبار الحج ركناً من أركان الاسلام الخمسة يوجب علينا أن نشهد منافعه ، وهو فريضة العمر وغنيمة ، وقد جيب به رسول الله حتى أنه ﷺ سئل عن فرضيته أفي كل عام يا رسول الله ؟ قال : (لو قلت نعم ، لوجبت ولما استطعتم) . لذلك كان من أولى ضرورات الحج معرفة أحكامه واعداد النفوس لتفوز بشعراته .

٢ - وإن أول ما نعلم من أمر الحج أنه كالصلاة التي تنجيه فيها إلى بيت الله فالطواف بالكعبة المشرفة عبادة لذكر الله تعالى ، فيتصل الانسان بعالم الغيب وهو في حياته التي يعيش فيها في عالم الشهادة والحس عالم الغفلات والشهوات والمطامع .

١ - وإن نداء الايمان نداء الله لعباده :

حي على الصلاة لاقامة الصلاة هو على شاكلة نداء الحج الذي يسمعه المسلم فيهوي فؤاده مقبلاً على الطاعة ويحيي مناديه : (اياك اللهم لبيك ، لا شريك لك . لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك) .

فيخاطب العبد بذلك ربه وبناجيه يستعين به ويستغديه ويسأل العبد من ربه ما يرجوه رغباً ورهباً لشؤونه في دنياه وآخرته وشؤون من يهيمه أمرهم من أهله وذويه وبني وطنه وأمتة والناس جميعاً .

ب - وإن أشرف مواقف الانسان وأعلاها هداية وتوفيقاً موقف يذكر فيه الانسان نفسه على حقيقتها (بولدها ومصيرها وما يتقلب فيه من ذلك من

تعمة الايمان والحياة وهو في ذلك يتوجه إلى خالقه الغني عن عبادته بمناجاته ودعائه .
وان اجل مواقف العباد بين يدي ربه على مدى التاريخ كله وأرفعها منزلة
هو الموقف الذي كرم الله به محمداً (صلعم) في يوم إسرائه من المسجد الحرام
إلى المسجد الأقصى حيث كان الخروج به إلى السموات العلى بحممه وروحه عليه السلام
أ - وكانت على نحو من ذلك شرفاً ورفعة (ميقات موسى عليه السلام)
أربعين ليلة لمناجاة ربه وهي التي ختمت بنزول الألواح عليه من السماء وفي نسختها
هدى النوراة المنزلة .

ب - وكان للمسلم من الموقفين حظ وميقات بصلاته وحججه ، وذلك ان الله
سبحانه وتعالى قد ختم ليلة المعراج وموقفها الجليل بما خلد به ذكرها وذلك
بفريضة الصلاة لتعرج بها روح المسلم خمس مرات يومياً بوقفته الخاشعة بين يدي
ربه يذكره بما علمه ويناجيه بآياته من قرآن ومن تسبيح ربه وتكبيره
وهو يذكره بآلائه ودعائه .

وبهذا كان للمسلم حظ من عروج رسوله بوقفته هذه في صلاته متوجهاً إلى
ربه ... وكان له بعد ذلك موقف وميقات مع ربه حين تحل أشهر الحج ويتوجه
المسلمون إلى موقفهم من عرفة .

٤ - موقف عرفة :

وهو ميقات يتجدد ، في كل عام مرة .

وان الله سبحانه وتعالى كرم بهذا المسلمين جميعاً فلم يخص تعالى بهذا الموقف
فئة كآتي اختارها موسى عليه السلام حين اختار من قومه سبعين رجلاً لميقات ربه
يتوجهون مع موسى لمناجاته واعتكاف الأربعين ليلة ، وانما فتح الله بالحج ضيافته
للمسلمين جميعاً أن يقبلوا على تلبيته تلبية لنداء أبيهم ابراهيم عليه السلام لهذا
الميقات المعلوم بأشهره وأيامه المعلومه ، فيتقدم لذلك المسلم بنفسه ويرشحها
بالانضمام إلى إخوانه ليكونوا وفد الله في الميقات المحدد بزمانه ومكانه، و(الحج

عرفة) ويتمون المناسك ويعظمون شعائر الله ويذكرونه كما هداهم إليه قائلا:
« كذا كرم آباءكم أو اشد ذكرا » .

هـ - وفي هذا الموقف من (عرفة) يعود مشهد الخليفة الى يومه الأول حيث يتجلى الخالق سبحانه وتعالى على عباده الخاشعين الذين يرجون رحمته ويخافون عذابه بما يتجلى عليهم بفقرانه ورضوانه حتى (يباهي بهم ملائكته) .
فترى الحجاج في موقفهم هذا بين يدي ربهم الى جانب الملائكة الذين
« لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون »

إنه مشهد يتجدد فيه العهد لأنه أصل مواقف الانسان الأول آدم عليه السلام وأجلها إكراما وإجلالا وذلك حين قال تعالى للملائكة: « إني جاعل في الأرض خليفة » فقالوا لما أعلمهم من أمر هذا الخليفة وذريته مقالة الاستفهام « أنجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك » فكان حين ذلك الجواب الالهي ببيان عملي كشف للملائكة عما وهبه تعالى لآدم وذريته من الخصائص والمؤهلات التي أعدهم الله بها لسكنى الأرض واستخلافهم عليها وعمارتها .

وذلك أنه سبحانه وتعالى « علم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة ، فقال : أنبؤني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ، أنكم أيها الملائكة أهل لهارة أرضى وسكنائها وحينئذ عرفوا أن للانسان شأنا وعبادة وحينئذ قالوا معتردين « سبحانه لا علم لنا إلا ما علمتنا » وأعدتنا له من تسبيح أقمنا عليه وخدمة ، وللانسان ما فضله به من علم ومعرفة وقدرة واستحقاق بها خلافتك على ملكك من أرضك » « إنك أنت العليم الحكيم » .

إن هذا المشهد من مشاهد الخليفة في دوره الانساني الأول مع آدم عليه السلام هو الذي يتجدد مع الذرية وكان ختام الموقف مع آدم أن أسجدهم ربهم لآدم فكان على نحو ذلك المباهاة للملائكة بوفد الله في عرفة .

— ولذلك كان موقف الطاعة (بسعي الحجاج الى ربهم من كل فج عميق من فجاج الأرض ليدكروا اسم الله بالتلبية والتعظيم والتسبيح والتهليل والتكبير والتقديس) هو الموقف الانساني (الآدمي) المتجدد مع الملائكة بين يدي الله عاما فعاما يقفون له وقتهم الخاشعة في عرفات وهضبتها بين الجبال التي أقبلوا اليها مهاجرين الى الله من ديارهم ومواطن عيشتهم ورغدهم الى حيث ناداهم ابراهيم عليه السلام بأمر ربه فجاءوا الى واد غير ذي زرع عند بيت الله المحرم وتخطوا شعاب مكة وجبالها حتى يقفوا بين يدي الله ملينين ذاكرين خاشعين بين هذه الجبال على هضبة عرفات وما يلحق بها من المشاعر .

٦ إن (الحج عرفة) لهذا المشهد الجليل مع ما تفرع عنه ولكل من المناسك كذلك دواعيه وذكرياته .

ويكاد المتوجه الى ربه (في هذه المناسك وأذكارها) أن يرى ربه لولا أنه « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار » كما كاد أن يرى الملائكة في موقف المباهاة، وعلى مثل ذلك يكاد يرى إبليس في منى عند الجمرات فيرجم هذه الجمرات .

إن هذه المواقف بمشاهد الحج تجعل عبادة المسلم بحجة أجل عبادة ، ان غنمها مرة غنم العمر كله ومن حق من عرفها إن استطاع أن لا تفوته في سنة من عمره . وفي ضوء هذا ندرك معنى قوله ﷺ بلهجة التقريع : (من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا أو نصرانيا) وكان بالمقابل بل وبحق من عرف مذاق ما هوى إليه فؤاده أن يعود الى الحج وميقات ربه في كل عام إن استطاع الى ذلك سبيلا .

٧ - إن هذه المواقف بمناسكها ومراميتها لون من ألوان عرض تاريخ الإنسانية الصحيح على وجه الأرض وهو يوضح مسيرة الإنسانية وسلوكلها منذ بدء الخليقة والساعة الأولى لحاق الإنسان الأول آدم عليه السلام .

لهذا كان الحج أجل دروس الحياة إيماناً ومعرفةً وتطهيراً للقلوب وإثارةً للعقول وشداً للعزائم فهو موقف الرفع والكرامة للإنسان وإنسانيته التي استعمرت الأرض وعرفت حق العبودية لله وحده ولهذا كان الحج من أركان الاسلام الخمسة ركناً تهوي له الأفئدة المؤمنة .

٨ - وان مناسك الحج بعباداتها تتصل بصميم حياة الانسان بصفته الفردية والاجتماعية وليست طقوساً جوفاء ولا تقاليد عمياء ولا حشداً بامم الدين ورموزه لعيد ومهرجان ، فهي آيات بينات وهدى ونظرات عرفان للانسان وسلوكه :

أ - لهذا كان الحج عنوان ايمان ومدرسة تربية يترك في الانسان اثره ولو فاز به في العمر كله مرة يطوي بها الانسان صفحة أمسه بالتوبة ويفتح صفحة الغد بالبر من الحج المبرور الذي فاز به وغفر الله فيه لعبده ذنوبه وباهى به مع وفد الحجاج ملائكته .

ب - ولهذا ونحوه كان الحج أكبر مظاهر انسانية تاريخية تمثل الانسانية على حقيقتها بأضخم مظاهر عالمية الايمان والمعرفة والتربية والسلوك على النهج الاسلامي وطريقهم الأقوم .

ج - وإذا كان هذا مقدار الحج وأثره فإن معرفة أحكامه والتزام القيام بها فريضة في دين جعل (طالب العلم فريضة) وجعله ممتداً (من المهد إلى اللحد) .

د - وان إعداد النفس للمشاركة لهذه المواقف مع وفد الله (من موقف آدم مع الملائكة إلى موسى في مناجاته إلى محمد ﷺ في معرجه على ما أسلفت) وهو الذي يجعل الحاج (الذي تعلم أحكامه وحكمه وسعى لها ومارس عبادتها غير غافل عنها وعن حكماتها) .

يجعله يفوز بحظه من التقوى على نحو ما نبه اليه تعالى قائلاً في نسك الحج وذبائحه : « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منك » فان التقوى هذه ثمرة ايمان وعلم وعمل وعبادة ، اتسع افق نظرها من بدء الخليقة-

الى أبعد الآفاق الانسانية مهما تباعدت فجاج أرضها أو أزمان تاريخها ...
هـ - وان هذه الثمرة من التقوى لتتصل من الفطرة الانسانية بأوثق صلاتها الطبيعية على ملة ابراهيم الذي اذن بالحج وهاجر حيث وجهه الله الى مقبوا بيته فسار مسيرته وقد اتخذ الله ابراهيم خليلاً وكان من سيرته وولده اسماعيل أن عمر الكعبة بيتاً لعبادة الله اعلاناً لتوحيده بعدما سبق له أن حطم الاوثان في بلاده التي نشأ فيها في بيت أبيه من أرض الكلدان بين النهرين (دجلة والفرات) .

و - إن الحج الذي يقوم على هذه النظرات ، التي تصل الحاج بصميم الحياة في أجل مواقفها ومشاهداتها حتى يفوز لنفسه بتقواها هو في الوقت نفسه أجل مظاهره جماهيرية عالمية في أعظم معرض دولي لأشرف هدف ترمي إليه النظرة الانسانية وهي تعلن في أرض الله مبادئ الاسلام التي اتسمت بالفطرة وسمت بالانسان الى رتبة مباهاة الله به ملائكته وهو ما يزال على ظهر الأرض التي قال له في حقها ربه : « واستعمركم فيها » فإذا هو الرجل الذي يعمل الخير ويلتزم به في أعماله التي يزنها بموازين الحق - للاحاً للأرض واعماراً لها وحرماً للفساد فيها على ما أدرك من معنى الحياة ومعركتها الدائرة بين الخير والشر والحق والباطل على ما بين الله في ذلك أمره القائل : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » ولهدمت « صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً » ، ولما قام دين يعبد الله في عصر ولا مصر ولا بادية .

ز - وان التقوى التي تستقر في النفوس لترسم هذا المنهج في أعمالها وسلوكها هي من ثمرات الحج بنظراته ومناسكه .

٩ - إن الحج (لما عرفت من شأنه) ركن في الاسلام وفريضة ولو في العمر مرة ولهذا فإن على من فاتته أن يعتبر ذلك ديناً عليه يقضيه عنه ذووه وفي مقدمتهم ابنه لأن أبناءكم من كسبكم بحكم النشأة والتربية والخلفية و (إذ مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له)

و (حق الله أولى أن يقضى) وأولى من كل دين آخر لثلا يفوت المسلم من الحج
هذا الحظ ولو بعد الوفاة بالقضاء عنه .

١ - وعلى مثل ذلك جعل الله من أخطاء الحج أو ما ينقص من وجائبه
ما يجبره جبراً أن فاتته أو قصر فيه بمخالفة حتى حين يعجزه الأمر لمثل (الاحصار)
وتعذر مواصلة السفر إلى بيت الله بعدما أحرم ، أو لمثل المرض وما يتأذى به ولم
يتمكن من الصبر على أذاه حتى يتم مناسكه ويتحلل من حرمات حجه .

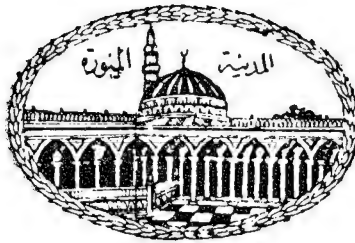
١٠ - والحج بعد هذا شعار وعبادة « ومن يعظم شعائر الله فإنها من
تقوى القلوب » .

وان أيام الحج وبلاؤه بمثابة مصح نفسي فكري يذكر الانسان من غفلته ويصله
بعالم الغيب في نظراته حتى لا تضل به مسالك الحياة عن الغاية قبل الرجوع
بالموت إلى ربه ، ويكون عمله لدنياء عملاً لا آخرته وهو يصالح في الارض ويحارب
الفساد ويقم الحق ويعمل الخير ويلتزم في موازينه بتقوى القلوب النيرة المبصرة
طريقها من رحلة هذه الحياة إلى قبره إلى موقف حسابه ومستقره في آخرته .

أ - وان سعة المشاهد هي التي تجعل من دعاء الحاج أن يقول : (اللهم
أصلح لي ديني الذي جعلته عصمة أمري ، وأصلح لي دنياي التي جعلت فيها معاشي ،
وأصلح لي آخرتي التي اليها معادي) فهي مشاهد بأوسع آفاق المعرفة .
إن معرفة المسلم لنفسه وربه معرفة من يرى حقائق الوجود كله
والانسانية من بدء إلى خاتمة على ما يستعرض من معاني الحج ومشاهده ،
وما يستوحي منها بقلبه وعقله وعزمه .

ب - وان حجاً هذه آثاره وآفاق نظره قد حشد وفد الله حشد من وطن
نفسه على بذل جهدها جسدياً وأن لا يبالي بثوب ولا راحة ، يسعى أشعث أغبر
كانه لا بس وهو (على ظهر الارض) كفناً لموته وقد وطن نفسه على بذل وقته وماله
ونفسه ونفيسه فماداً يكون شأنه وهو يرى إخوانه في مشارق الارض ومغاربها ؟

انه بلا شك يرى من منافع الحج ما تمتد اليه العزمات وترقى اليه المهم مادياً
ومعنوياً لدينه وديناه ولنفسه وذويه والمسلمين جميعاً وأهل الارض قاطبة ؛ ولذا
كان الحج مؤتمراً أي مؤتمر وجيشاً أي جيش حين يتزود الحاج من حكمة وأثره
ما يرجع به الى وطنه بمشاعر البر والتقوى ومن ورائه العالم الاسلامي بإخائه وولائه .
فاللهم يسر لنا حجاً بعد حج وعمره بعد عمرة وتقبل منا وأكرمنا بها أنت
أهله وزدنا منك قربى بعفو وعافية ورضوان يا رب العالمين .
واجعلنا أهلاً لما أكرمتنا به من هذا الدين لنكون أمة الايمان والقول والعمل
والبذل والتضحية على ما يرضيك عنا ، ونصلح به في أرضك ما أفسد المفسدون .
والحمد لله رب العالمين .



المجمع معرض أمة ومنبر دعوة

أولاً : إن الحج أبرز عنوان عالمي للإسلام ، بدعوته ودعايته ، فيه اذان للناس وبلاغ ، تصاحبه (من لسان الحال) أبلغ ظاهرة اجتماعية دولية .

١ - وان لغيره من الأديان مهرجاناتها ومظاهرها الاجتماعية ولقاءاتها في أعيادها ومباهجها ، ولكنه ليس في الأرض دين أظهر دعوة ، واجمع الأمة من الاسلام ، فهو دين الجمعة والجماعة والحج ، فالاسلام يدعو دعوته يومياً على رؤوس المنائر خمس مرات ، حتى ليدمع نداؤه في البادية القفراء ، كما يسمع في القرى والمدن والعواصم ، ويجشد جموعه لصواته هذه ليلاً ونهاراً في مساجده المحدودة بأوقات محدودة ، كما يجشدهم اسبوعياً لصلاة الجمعة ، وفي المواقف الجامعة في سلم وحرب إضافة إلى العيدين ، ولهذا كانت عقيدة الاسلام علانية بأوسع معاني الاعلان ، بلاغاً للناس كافة ، بلسان مقالها كما كانت دعوتها بلسان حالها وأعمالها وحشودها .

أ - وان هذا الدين قوامه أركان ايمان يقوم عليها بناء النظر والمعرفة وإلى جانبها أركان عملية للطاعة ، والعبادة المسماة (أركان الاسلام) ، وهي دعائم المنهج التربوي على أساس تلك العقيدة من اركان الايمان ، ولكل عبادة من الثمرات حكم ومقاصد اضافة إلى ما يجمعها جميعاً على ثمرتها من التقوى .

ب - وان من أبرز ذلك ما تحمسه كلمات الدعوة الأولى اليومية المتكررة ببلاغها ودعوتها إلى الصلاة دعوة تبدأ من الايمان بتكبير الله واعلان الشهادة بوحدانيته وصدق رسوله ، وتوضح من بيان المنهج العملي دعوتها إلى الصلاة وجماعتها وتبين ثمرتها انها دعوة الفلاح للانسان في حياته العاجلة والآجلة ، ثم تختتم بمثل عبادات به من التكبير وما يلحق ذلك من دعاء وصلاة وتسليم على الرسول الامين .

ج - وفي هذا الاذان النموذج لحطة الدعوة ببيان المبادئ لعقيدة ونظر، وبيان المنهج لحطة وعمل صالح ، وبيان للنتيجة والفائدة التي تشرها وتهدي إليها .
د - وفي الصلاة تذكرة بالله واليوم الآخر تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وفي الصيام ما أوجبه «لعلكم تتقون» وفي الزكاة تركية النفس وظهارتها من امراضها وأثرتها وشحها وما يستتبع ذلك ، وفي الحج من ثمرات ذلك جماع العبادات كلها .

ثانيا : وان بلاغ الحج ودعوته بدأت بأمر الله الذي كلف به ابراهيم الذي بنى الكعبة المشرفة بأمر ربه وقال له : « وأذن في الناس بالحج » وكان من الاعلان الدائم تحديد ميقاته ليكون نداء بلسان الزمان عند حلول هذا الميقات « الحج أشهر معلومات » تبدأ بداءتها بعد التمهيد للحج بعبادة الصيام واعلان يوم عيده ، وهو مبدأ ميقات الحج بزمانه وفي تحديده بهذا الوقت بالذات أبلغ تنبيه لدعوته أهل الايمان والبر والتقوى ان انتهت عبادة بفرضها وقبولها وفرحة جزائها بعيدها دامت شهر الصيام ، وبدأت عقبها عبادة أعدت لها النفوس المؤمنة للسفر والحج الاكبر وفرحة أيامه وعيده ، فلهموا من كل فج عميق من فجاج الارض إلى (ميقاته) فهو بمكانه حشد تبدأ به مشاعوكم المعظمة ، واقبلوا حرمين من الميقات على بيت الله الذي تتوجهون اليه كل يوم خمس مرات في كل صلاة تعظمون ماءظمه الله وتستشعرون له الحرمه وتستجيبيون للنداء الذي سمعه وجد انكم قائلين : (لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك) .

١ - وهكذا يسمع المؤمن نداء الحج من أعماق قلبه بما تملكه من الهوى هوى الايمان على مادعا ابراهيم ربه ، « فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم » تهوي إلى مكة ، واهل مكة وهي البلدة التي أقسم الله بها قائلا : « لا أقسم بهذا البلد » وهو قسم التنويه بشأنها والتعظيم لحرمتها بحرما ومسجدها وكعبتها .

- أ - وان عصرنا عصر يصح فيه ان يسمى عصر الدعاية ، لما توفر من أسبابها التي تملأ الأسماع والأبصار ليلاً ونهاراً وتهمز المشاعر ، وتتلعب بالعقول والافئدة بيرة أساليبها المتنوعة وتنوع فنونها ولو كانت باطلة خادعة .
- ب - وان سلاح الدعاية يبدأ تمكّنه من نفس الانسان الأول آدم عليه السلام بما أغراه به الشيطان بوسوسته حين أيقظ منه المشاعر الكامنة بقوله الموثق بقسمه أنه : « ما هنا كما ربكما عن تلكما الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين » ولكل إنسان مشاعر كامنة يوقظها داعية الاغواء والفتنة ، غير أنه ليس للشيطان سلطان على الانسان المؤمن ، وإن كل ما يستطيعه هو الاغواء بما تزينه دعايته للانسان كما يصرح بذلك الشيطان غداً يوم القيامة ان تبعه وهوى بهم معه في النار : « وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي ، فلا تلموني ولوموا أنفسكم » .
- ج - وان ميزة الانسان على الحيوان بسمعه وبصره وفؤاده وهو مسؤول عن أمانتها ما أحياه الله بها وهي سبيله لاكتساب المعارف التي يتميز بها عن الحيوان وخص لها بالبيان .
- د - وان وسائل البيان هي وسائل الدعوة والدعاية وبها تقوم الحجة لله على خلقه ، وقد كثرت دعايات الباطل وكانت متنوعة بفلسفة وآداب وفنون ، ونظرات ومناهج ، وقدمت للاغراء على مستوى يناسب العصر وأهله ، فأين من يقابل ذلك من الدعاية الاسلامية اذا صدقنا المقارنة ؟
- هـ - ان الاسلام الذي كانت له (كما أسلفت) أبرز مظاهر الدعوة والدعاية وأنزل الله تعالى بالبيان العربي قرآنه المعجز ، قد تخاف أهله ودعائه عن فهمه ودعوته بما تقوم به الحجة لهم على الناس على مستوى عصرهم وأساليبه ، بل كان من تخلفنا في أساليب الدعوة أننا لم نأخذ حتى من دعوة الصلاة منهجها ولا من دعوة الحج مسيرته في الارض بطواهرنا المتخلفة ، فقد جعلنا حتى مثل الصلاة والحج على مثل حالنا من حقائق تخلفنا .

و - ان السنة الدعوة الاسلامية ما تزال بابلغ مظاهرها على مستوى صحيفات مضخمة لمهرجانات تردد فيها شعارات وكلمات خطابية تضي آثارها مع ساعيتها على شاكلة خطبنا الاسلامية لأنه ليس لها هدف جامع ولا منهج واضح ولا تجسد بعمل او مشروع موصفاً فوسماً ، ولهذا فهي لا تبلغ من نفوس الناس مبلغاً يبرز مشاعرهم إلا مؤقتاً لأنها لا تثير عقولهم ولا يبصرهم بطريق العمل المجدي فينفضوا به ، ويزدادوا من ذلك ايماناً خشوعاً وعرفاناً وهمماً لما يهديهم من اسلوب العمل بما يحقق في المسلمين شخصيتهم التي يكونون بها اخير أمة ، شهداء الله على الناس في عصرهم على اختلاف أمصارهم ، حتى يؤدوا بهذا حق البلاغ الذي فرضه الله عليهم إلى الناس كافة .

و - ان الصراع في هذا العصر من حرب سافرة إلى حرب اقتصادية مهدت لها الدعايات حتى الثقافية ، وكان من نماذج ذلك إصدار الولايات المتحدة (اثناء الحرب العالمية الثانية) مجلة اسمتها (المختار) ، ليكون فيها عصارة المجلات والبحوث الهامة ، وكانت على ذلك من ألوان الجهود الحربي بدعاياته بالاسلوب العلمي لتنفيذ منه إلى وجدان القاريء حين يفتح الاسطر من دعاياتها الحربية يرفق دون أن يشعر ولو كان على حذر ، وقنعت الولايات المتحدة بهذا القدر ، لعمق الاثر .

ز - لقد أصبحت الحرب اليوم في أقوى أساليبها صراعاً حريياً ثقافياً ، وقد استعلن بذلك أطرافها بين أهل الجبهتين بما يسمونه بلغتهم المستعجمة (ايدولوجية) ، فالحرب هي حرب ثقافية تقوم على اصول تعتمد المبادئ والنظم والافكار ، التي تستعلن بها وتدعو اليها ...

ح - ونحن اذا نظرنا إلى انفسنا بمنظار هذا الواقع فآين نجد أنفسنا ؟ إن كل المبادئ والنظرات أخذت تغزونا في عقر دارنا بأمم العلم والادب والفن والفلسفة والاجتماع منذ تركنا مقام الامامة في الارض والهداية للعالم وذلك بحكم تخلفنا عن السباق مع أهله .

ط - وحسبنا من الحديث عن الحج أن نسأل : ما هو مجهودنا في موسم الحج لابراز مبادئ اسلامنا بنظراته ومناهجه وحكمته بصورتها الدولية التي يحشد لها الاسلام أعظم مسيرة في تاريخ الارض من كل فج عميق عاماً فعاماً ؟ !
أين محل النظرات الاسلامية من النظرات المتصارعة معها من ثقافات العالم المعاصر بدعايات أهله المختلفة ؟ مع أن دعوة الاسلام تقوم على الحق والخير والهداية للناس كافة ، فهي المبادئ التي تحقق للانسان سعادته وفوزه وفلاحه ، وهي النظرات التي تخرج الانسانية من ظلمات صراعها العالمي إلى النور نور الله وهدايته بموازين الحق والخير التي فصلها القرآن بآياته البينات البليغة .

ي - إن الحج بمظاهره الدولية إعلانات لمبادئ الاسلام بلسان الحال ولسان المقال ، حين ينظم الحج تنظيم العصر بأساليبه المرموقة على غط يستوي مع تنظيم السباحات والرحلات والاندية والجماعات المنظمة والفنادق والبيوت المفروشة بمثل بيوت الشباب والنزل (البانسيونات) ، والبيوت المستعدة لتقبل الضيوف ، بديل نظام المطوفين واحتكاره .

ك - إن الحج يوحد بين وفوده ومشاعرهم وأفكارهم ولكن أين حاله وحال أهله بواقعهم من المقاييس العصرية ؟

و أين المقارنة في وضعنا ودعايتنا حتى نبهر للغير من مبادئنا ما جعلنا الله به « خير أمة أخرجت للناس » منذ أن جعلنا « أمة وسطا » بينهم لنكون شهداء لله على الناس ..

ل - إن لكل عصر أهله بمشاعرهم وأفكارهم التي تسود فيهم ، ولهم حاجاتهم ومستوى عيشهم فلمهم من ذلك ألوان في الدعوة والدعاية بفنونها التي تتفقد إلى قلوب المعاصرين ومشاعرهم .

وان لدعوة الاسلام معالم تكشف عن حدود من نظراته في كل أمر بما فيه الهداية للناس كما قال تعالى : « ما فرطنا في الكتاب من شيء »

م - والعجيب من حال المسلمين بعد هذا انك تجد نظرات كل دعوة

لكل أمة من الأغيار قد نفذت إلى ديارهم الاسلامية ، وتكنت من قلوب وعقول كثرة من ابنائنا حتى حمت كثرة كثرة منهم على الشك باسلامهم وصلاحيهم لزمانهم بل كانت الردة فيهم أي ردة تقوم على أصول غير اسلامية من النظر والمعرفة وهما الاصل الذي ماتقوم عليه صخرة الايمان أو يتحطم بهم بذلك الايمان مع أهله . وكان من أثر ذلك ما يتخط به العالم الاسلامي اليوم ثقافياً واجتماعياً وسياسياً وهو نتيجة تخلف الكثرة الكثيرة وخاصة من السنة المتأخر والمساجد والمعاهد وأهل التربية والسياسة تخلفاً أي تخلف عن فهم عصرهم بلغته ومشاعر أهله وحاجاته ، فان المعارض الفكرية ما للمعارض التجارية من فن في عرضها في ثوب بل في أثواب تلائم العصر على مستوى يمكن المسلم أن يقابل دعوة الغير بدعوة اسلامية ويقدم منهاجاً بديل ما يقدم له ليكون صيداً أو مغنماً من وراء شباكه .

إن اعلان الحق ودعوة الخير والهداية الالهية ينبغي أن تكون بآيات بيّنة من هداية الله لعباده وهو القائل : « أن علينا لاهدي » فتعرض بما يخاطب أهل العصر بلغة عصرهم من بيناته ، وحاجاته وفي طليعتها ما تميز به هذا العصر بمستوى ثقافته وعلمه .

ن - واذا كانت الكعبة المعظمة متجة القلوب المؤمنة بنظرها وأفئدتها فان الدعوة بلسانها وفي موسم حجبها يجب أن تكون أرفع دعوة وأوضح منهاج يخاطب العصر وأهله بمستوى العصر وأهله فلا ترتجل الكلمات ارتجال الساعة من حماس حشد وانفضاضه بل تعد العقول ما تعده وتبرز الفنون ما تبرزه على أسلوب المعارض الفنية المهيأة ، لتملأ الاسماع والابصار وتحرك في النفوس أثراً وتبعث أملاً وتحقق رجاء وترسم للاعمال منهاجاً ، وبذلك يكون (صوت الاسلام) من مكة المكرمة منبراً للعالم الاسلامي كله ولكل داعية حينما كان من أرض الله ويكون إماماً لتوجيه العزائم في العالم الاسلامي كله .

– وان الحج بموسمه هو قمة المواسم بدعوته إلى الله ، وهذا ما يجب أن يبرز أثره بمنهج موسمي يوضح من الاسلام نظراته ومناهجه التي تعالج مشاكل العالم سنوياً في ضوء مبادئ الاسلام الراسخة لتستمتع الانسانية إلى كلمته الحكيمة من الحق والخير والهداية في كل موسم عاماً فعاماً .

س – وان الحروب المستمرة في العالم (سافرة وخفية اقتصادية واجتماعية وسياسية) بحاجة إلى ان تقال فيها كلمة الاسلام صريحة مدوية وهو الدين الذي انزله الله ليخرج به الناس من الظلمات إلى النور دائماً وأبداً ... الى قيام الساعة .

ع – إن العالم كله بحاجة إلى مبادئ الاسلام لما يقوم عليه من الايمان والطمأنينة والسلامة بلا خوف ولا حزن ولا آثام ولا عدوان ، فإن طريقه المستقيم يمتد تحت هذه الأضواء من حياة الفرد إلى حياة الجماعة إلى علاقة الأمم بعضها مع بعض على حد سواء .

ف – إن مبادئ الاسلام ودعوته تقوم على أسس صريحة راسخة قوية يمثلها الحج بلسان حاله ومقاله .

١ – وحسبنا من المبادئ الممثلة بالحج ان يكون اوضح نداء فيه نداء الله ان : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

وقد أسس هذه الدعوة على النسب الجامع الذي أعلنه رسول الله ﷺ قائلاً للناس جميعاً : (كلكم لآدم وآدم من تراب) ليوثق الاخاء بالتواضع خضوعاً لأمر الله الذي كرم الانسان وفضله على كثير من خلق حتى نبه تعالى إلى منتهى على الذرية جميعاً قائلاً : « وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير من خلقنا تفضيلاً » .

٢ – من مبادئ الاسلام أنه جعل أول الخطى إلى هذه الكرامة الانسانية أنه أسجد له تعالى لآدم ملائكته حين أبرز تعالى الملائكة شخصية

أدّم جزاها القائمة على العلم ومنه عبادة الله مع ما يلبس ذلك من الخطيئة والتوبة والانابة إلى ربه وبذلك رسم له طريق الحياة السوية التي يثمر العلم فيها والهداية من تقوى الله ثمراته من استخدام القدرة .

وإن كل ما في الطبيعة مسخر للانسان بأمر الله تعالى لعبارة الأرض وخير الانسان والانسانية جمعاء، بعد أن رسم تعالى للقدرة طريق العمل ومنهجه وحمل الانسان تبعته وجزاءه بموازينته التي أنزلها بيته في كتابه وسنة رسوله الحكيمة . فالعمل الصالح وإقامة العدل واستعمار الارض باصلاحها وممارسة الفساد فيها واستعمال القدرة لخير الانسان على أسس علمية هي التي جعلها الله أساساً لكرامة الانسان ومعياراً للتقوى والتقوى معيار التفاضل بين الأفراد والأمم وأساس التمكين في الأرض وشمول النفع للناس جميعاً .

٣ - وفي الحج تتكرر المواقف الخالدة التي سبق ذكرها من منافع الحج كموقف مباهاة الله الملائكة بحجاج عرفة ، وموقف الميقات مع الله في عهد موسى عليه السلام ، وموقف معراج خاتم المرسلين ﷺ وذكرىات إبراهيم وإسماعيل إلى ما هنالك من مشاهد تسمو بالانسان وكرامته وتثير له طريق حياته على هدى من الله ورعاية بقربه .

٤ - وفي الحج مفتاح السلام للعالم بما يحقق من اعلان الاعتدال الذي ثقف فيه الأمة الاسلامية وسطاً بين أمم العالم تحاجز بين أهل الغلو يمينه أو يسرة بشخصية مستقلة تدعو إلى الحق والخير والهداية ولا تميل مع الأهواء ولا تمشي مشية للنفاق باسم الحياء على وجهين بخطى متعثرة قلقلة حائرة ...

« وكذاك جعلناكم أمه وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً » تبلغون كتاب الله وهديه كما بلغكم رسولكم وأنتم من بعده خلفاؤه وهرلن يخرج من قبره الشريف ﷺ وقد حملكم الله التبعة بلفظ واحد مخاطبكم بما خاطبه قائله في كتابه به : « إنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون » جميعاً كما يسأل رسولكم عن تبليغ رسالة القرآن .

٤ - ولهذا كانت تحية زائريه **وَعَلَيْكُمْ** في قبره الشريف بأن يخاطبوه قائلين :
(اللهم إنا نشهد انك رسول الله وأنتك بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت
الأمّة وجاهدت في الله حق جهاده) .

فأين نحن أمته بدعوتنا ودعايتنا لتكون بها شهداء لله على الناس في موسم
هذا بيانه ولسان حاله ؟ ! .

٦ - إننا في عصر يقول أهله : نريد (حياة أفضل) بما نحن عليه قوامه
التعاون بين الأمم وتبادل المنافع والخيرات والتعارف والتآلف والمودة ولكن
أمم العصر المتقدمة اليوم (مع تخلفنا) ويتجهون إلى ضلالة من ضيعة الحياة لقصرهم النظر
على المادة بعد أن كانوا على الرهبانية التي رفضوها وانغمسوا في حماة المادة
ونسوا المنهج الجامع الاقوام القائل مقالة الله : « ومن يرد ثواب الدنيا فعند الله
ثواب الدنيا والآخرة » بما يجمع بين الجنسين مادياً ومعنوياً باعتدال .

٧ - ونحن المسلمين قد أراد الله تعالى فينا إرادته فلم يدعنا لمنهج أهل
الرهبانية (بعداً عن الحياة وطيباتها) كما أنه لم يجعلنا من أهل النظرة المادية
والأنواء الجاحمة والمنافع الخادعة ، وقال لنا بلسان النبوة الحكيمة الهادية
(ليس خيركم من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه ولكن خيركم من
أخذ من هذه وهذه) .

٨ - وجعل لنا بذلك نحن المسلمين منزلة الرياسة والامامة في العالم لتقتدي بتنا
الأمم جميعاً قدوة الهداية بقرآن حكيم منزل لنخرج الانسانية من الظلمات
وطاغوتها ومشاكلها إلى أنوار الله الهادية و « الله نور السموات والأرض » .

فأين الدعوة التي تغزو الناس بالدعوة الالهية ، ونحن بعكس ذلك نغزو
منهم حتى في المدارس والجامعات والصحافة والمطبوعات غزوة تنفذ إلى القلوب
واليوت كما استولت على الحكم والذوق العام والتربية .

٩ - إن أذان الحج في كل عام اعلان لمبادئ الاسلام الانسانية الهادية .

النيرة بهذه المظاهرة الدولية التي يقنادى لها المؤمنون من مختلف قارات الأرض
جاءها وحاضرها .

١٠ - وان أرض الحرمين والمناسك هي المعرض الدولي الاكبر الذي
تنظم فيه المشاعر والعبادات التي تبرز هذه المبادئ الاسلامية وتمكنها نفسياً
واجتماعياً وتعلنها دولياً يجور من العبادة الخاشعة ، فتى تنظم دعوة الاسلام على
مستوى هذا الواجب فتكون (صوت الاسلام) حقاً وتثمر ثمرها قولاً وعملاً ؟ !

١١ - وان تحقيق مبدأ التعارف بين الناس على اختلاف شعوبهم وأممهم
وقبائلهم قد هياه الله في زمان واحد ومكان واحد على قبة واحدة ودعوة واحدة ،
وذلك سبيل التعاون والتناصر بينهم وأداء الحق الإخاء الايمان بولائه (والمسلم
أخ المسلم لا يظلمه ولا يخذله) والخطبة بينهم قوامها أن : « تعارنوا على البر
والنقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » .

وهذا بعض ما أعد له الحج أسباب ودعوة وأنصاراً ، حتى لا يبقى على دعاة
التوجيه وأهل الدعوة والحكم والقيادة إلا أن يبدأوا الخطى المنتظمة بتنظيم
الدعاية اسلامياً وقد جعل الله فيها الخير ، وان يوضحوا للعمل براجمه ، ليشهدوا
منافع لهم وبذكروا اسم الله الحق ، ويشكروه على ما هدام وجمعهم له بهذا
الحج ، حتى إذا عاد الحجاج إلى بلادهم عادوا على منهج واضح الخطوات من التعاون
والتناصر عاماً فعاماً ، وجددت ذكرتهم مواصلة الدعاية .

١٢ - وإذا كان هذا شأننا من هداية الاسلام في موقف إيجابي مع العالم
كله ، فإن مشاكلنا وأمراض أوضاعنا وفي طبيعتها التربوية والسياسية بحاجة إلى
قيادة فكرية مشتركة ، وإلى تنظيم مرجع للوساطة في حل أمهات المشاكل
وفي طبيعتها السياسية قبل أن تستفحل وذلك في ضوء ما هداها الله اليه بقوله :
« وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما » ويكون من مهمة هذه
الهيئة الاصلاحية أن تأخذ بالوقاية وأسبابها قبل أن تقع الأحداث بفتتها .

ادارة الحج

هي التي تحمل من اسمها صلاحياتها وتبعاتها معاً حين تفهم من الحج مقاصده ومشاكله فتحمل الاعباء وتسد الحاجة على قدر ما تقتضيه المصلحة في حل مشاكل الحج العامة والموسمية

وإذا أردنا انصاف القول ، فان ادارة الحج لها وجود متعدد الجوانب تشاطرها بعض ذلك وزارات كالحارجية والشؤون الاجتماعية والاسكان والتموين والتربية والتعليم والاعلام وما إلى ذلك وإذا أنصفناها القول فإنـه ينبغي أن تكون هذه الادارة محل الرعاية لتكون أشرق وجه وأوضح صورة لبلاد عرفت بمبادئها ومجتمعها وقد ارتبطت (في وجودها ومركرها حتى دولياً) ارتبطت بالاسلام بوحيه وتاريخه ومبادئه ، وهذا الحج أعم وأجل .

إن تبعات ادارة الحج على مقدار فهم جلال الاسلام بحجه وتبعاته .
وان ارتباط ادارة الحج بوفود الحجيج من أبناء الارض جميعاً لا يقتصر على حلهم وترحالهم في مواطن نسكهم في أيام معلومات محدودة ، وإنما يتسع اتساع أفق النظر في سمو المقاصد التي جعل الله لها الحج ركناً في دينه .
ولهذا ينبغي أن تكون ادارة الحج على أتم الصلة بالحجاج وأمورهم لتمتكن من تحقيق الحطة التنظيمية .

ولهذا يجب أن تبدأ عنايتها بالحجاج من منطلقهم وهم في بلادهم وذلك بواسطة سفارات المملكة وقنصلياتها والملحقين الثقافيين فيها يضاف إلى ذلك من يوجه من الموفدين الموسمين عند الاقتضاء لتنظيم إقبال الحجيج على أساس البرنامج الثقافي الذي يعد لتنظيم هذه الرحلة

أ - ويجب أن يتم ذلك بالتعاون مع العلماء والدعاة الى الحج في كل بلد
١ - وبهذه البداية من النظر الاداري نستطيع أن ننظم الوضع في الحجاج
أيام الموسم وأن نعد لهذا التنظيم أسبابه وأهله الاكفاء لتحقيق مقاصد الحج
ومنافعه وفي طليعتها أن يكون ثمة في كل موسم مؤتمر سنوي للعالم الاسلامي
(وذلك على سائكة تنظيم لمؤسسات والمعارض الدولية الدائمة) .

أ - وهذا ما يستلزم أن تعد الحكومة السعودية في كل قنصلية (استارة)
تستين بعلوماتهم المعرفة شخصية كل من سيقدم على الحج وطلب السمة من قنصلياتها ،
فتمتعرف بذلك على كل شخص ومقامه ومؤهلاته وأعماله وكفاءته وذلك لاختار
منهم ادارة الحج من تدعوهم بحسب كفاءاتهم لجان يساهمون فيها بدراسة مايتناط
بهم وتقديم التوصيات ورسم المناهج لعام فعام بما ينهض بالامة ويحقق من الحج
شهود منافع في عصر درج العالم فيه على تنظيم المؤتمرات وإقامة المؤسسات
الدولية لمثل هذا التعارف والتعاون وتنظيم المناهج .

ب - إن الكفاءات التي تلتقي في الحج سنوياً لتضم أنواعاً متنوعة لا يتوفر
مثلها في أي مؤتمر وتجدها من عبادتها في أصفى ساعاتها على ما فرغت له الوقت والنفس من
الاقبال على الله ، فتقدم - إذا دعيت لتنظيم - ما تقدم من خبرتها بمقترحات وتوصيات ،
وهذا في لغة الشريعة الاسلامية هو (النصيحة) المفروضة لله ولرسوله وللمؤمنين امانة
في كل عتق وخاصة لما تدعو اليه الدواعي في سبيل نهضتهم وعزتهم وتحقيق رابطة
الإخاء بينهم ، وفيه ذلك الاستجابة لأمره تعالى « ولتكن منكم امة يدعون الى الخير »

الحج والاستطاعة

إن الحج (بحكم كونه فريضة عينية على كل انسان) فانها ترتبط بقدرته واستطاعته هو ولا حد يحد هذه الاستطاعة وهي مرتبطة بقوام النسبة وزينه ودرجته ايمانه ومقدار تحمله ومالي ذلك من أمور دقيقة وقد تخفى على الانسان نفسه نظراً لتبدلها بين طور وآخر من حياته بل من ساعة الى أخرى من أيامه .

١ - ولمثل هذا نرى في الحجاج وعند الطواف حتى الشيخ والاعمى والمريض والفقير من يعتبرون أنفسهم أهل الاستطاعة.

ونرى من ينقطع لهذه العبادة أو يعاودها سنة فسنة بل ويكرر بين ذلك العمرة، ولا يقال لمثل هؤلاء أو أحدهم ان قد أخذت فرصة العمر وهي لغيرك ، ذلك لأن أمر الناس في ذلك مختلف ، فمنهم من لا يسعى الى الحج رغم استطاعته بل منهم من لا يفكر بالحج حتى يفوته العمر فيوصي به ليقام به نيابة عنه بعد وفاته ...

٢ - وان الاستطاعة قوامها (من التكاليف الشرعية) التحمل والكلفة ، وقد يكون من ذلك في التكاليف بذل الأرواح والاموال وتحمل الصعاب وشدة الصبر في مثل فريضة الجهاد. ومثل ما يكابده الحاج وهو أشعث أغبر وخاصة حين يأتي من كل فج عميق يأتي على حال تناسب ما يقدر من حاله وتحمله واستطاعته ، ولهذا يقتضي تذليل الصعاب والعون على البر وأداء الفريضة ولا يجوز أن نعكس فيه الآية فتوضع للحج شروط غير شرعية تفرضها سلطة فتكون هي العقبة دون

حجة الراغب بديل أن تكون سلطة الحكومة وقدرتها عونا على البر وتذليل الصعوبات لكل راغب استشعر من نفسه الاستطاعة وهوى الى بيت الله قلبه .
ولا يؤخذ من صعوبات الواقع القياس لهذه الصعوبات بمشقتها وحررها وتجعل الاساس لوجوب الحج وفرضيته وخاصة من قبل أرباب السلطان لأن التكليف أيضا في تذليل الصعاب وحد الواجب من تذليلها على قدر الاستطاعة والقدرة لأرباب السلطان كما في بمعيارها شخصية . فالقياس على الواقع والرضا بالواقع وعدم بذل الجهد، فذلك شأنه شأن من يقول: أنا مسلم أو دخلت بالاسلام معجبا، وهو لا يترجم بفعله عن مقاله ويريد بالوقت نفسه أن يبقى في مكانه ولا يريد أن يغير إسلامه شيئا من واقعه في حياته رضاء منه بها ألف من راحته المعتاد عليها ثم يقول هذا حالى وهذه أشغالي وأعبائي ومع هذا فانا عند نفسي مسلم وان كنت على هذا الحال ومثل ذلك من يقول أنا أتمنى الحج وأريده ولكنني لم استطع ، ان هذا الاسلوب ونحوه من الامنيات الكواذب وهي من ألوان خداع الضمير وهو من مدارج النفاق ؛ فمن اتزم امرا بذل جهده ، ومن كانت له قدرة وساطة بذل على مقدارهما من ذلك ما بذل من عرف حق الله عليه ومعنى هذه الفريضة من اركان الشريعة واثرها البالغ في حياة الافراد والمجتمع والناس جميعا ، وعليه ان ينظر الى مدى قدرته لا الى مقدار ما بذله فهي معيار التبعة عند الله !

٣ - وقد جاءت باسم (تعليمات) من السلطات لتنظيم الحج لعله كان من ورائها من يخفي في طويته روحا ملحدة او كافرة او معادية او علمانية او غير مبالية بالعبادة والاسلام واركانه فإنها بهذه (التعليمات) فرضت تكاليف ووضعت عقبات دون الحج بديل ان تذلل العقبات وضعتها باسم التنظيم عقبات فرضتها بديل ان تكون عونا بقدرتها وسلطانها تذلل الصعوبات .

١ - وكان من اغربها بمنطقها المعكوس وبعدما عن روح الواقع وطبيعة

العصر حين تقاس الأمور بقدرات السلطة وتبعات العبودية لله سبحانه وثمره الحج لمن عرف منافعه وأراد اغتنامها تلك التعليمات والترتيبات التي أعلنت وأريد فرضها على (موسم ١٣٩٥ هـ الموافق ١٩٧٥ م) قد جرى طي ما طوي منها بالتساهل فيها والتراجع العملي من تنبه لمفاسدها كما شعر بالعجز عن تحمل تبعاتها رغم إرهاقها الناس بها زاد التكاليف ، وزاد الصعوبات صعوبات والتضييق تضييقاً واعناتاً .

(لقد نصت هذه التعليمات على أن (الحج) شروط له (الاستطاعة) ثم ينسب على الناس الأسباب لهذه الاستطاعة فإنها وضعت بسلطة الحكم شروطاً للحج وقيوداً على الحاج ، كأنه فريضة وعبادة لأهل الثراء واليسار والترف ، وليس عبادة شخصية اخفى وفقير يرى من الاستطاعة لنفسه قدرتها وسعتها هي كما قال تعالى : « لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق بما آتاه الله » ، فقد اعتبرت السلطة موسم الحج (سوقاً) (سوقاً تسلب فيها الحرية وتوضع القيود لاحتكارات الطعام والانتقال) سوقاً لسوء الاستغلال فزادت الاكلاف ورفعت (الاسعار) بها . ان (الغلاء) وما كان من أثر (العرض والطلب) باستغلاله السيء قد زاد الأمر سوءاً على سوء حين أصبحت بذلك (تعرفته) الحكومية هذه هي السمور الادنى في السوق الحرة لأهل المطامع ، وازدادوا شطاطاً بها ، وغابت عن العقول والقلوب مبادئ (الحسبة) في الاسلام وما تعالج به مثل هذه الاوضاع الفاسدة ، وقد زدناها بما سلف افساداً على الفساد السابق

ب - وكان في هذا أسوأ الوضعين مالياً المذهبين الاقتصاديين المتصارعين في العالم المسميين (رأسمالية) (وشيوعية) . . . وتجاهلنا في ذلك اصل الخلق العربي الاسلامي في إكرام ضيوف الله والتعاون على البر والتقوى ، وإخاء المسلمين اهل الديار ومن اقبل عليهم لحجه ، أن دور الحكومة دوره الرقيب والعون بسلطان الحكم وتنظيمه لما تحمله من التبعات وتكاليف الحكم في الاسلام وقدرة

التكليف الشرعي على نسبة مطردة مع هذه القدرة من كل قدرة ...
ج - وكان من دواعي الخطأ بها كلف تذوق ثمرة المغانم لافراد شركة النقل
والمواصلات على ما الذي سارت عليه المملكة من الحرب العالمية الثانية باحتكار المواصلات
باسم تذليل صعوبات المواصلات وخدمة الجميع وجاءت بهذه التعليمات لعام ١٣٩٥
اللمع اليها الخطوة الاخرى لتحكم بقوة السلطان ايضا (الطعام والمسكن
والانتقال) رغم ان الاجور والاسعار في اشد ما وصلت اليه قبل هذه (التعليمات)
لم تبلغ مبلغها من بعد التعليمات بحكم النامي بها وجعلها حداً ادنى عند الناس .
واستتبع التنظيم على هذا النحو تحكم السلطة بمنعها الحاج من حقه باختيار مطوفه
وبالتالي من اختيار مسكنه ومنعه من الطعام الذي يريد إلزاما بالذي تفرضه
السلطة على ، الحاج كأن الصبغة التي تفرض عليه صبغة جندي في (ثكنة) ،
وان اراد النجاة من قواها فله ولكن على حساب نفقة جديدة .
ومن المعلوم ان الناس في حاجاتهم كما كلهم لا يستوون لاختلاف الذوق والسن
والصحة والقدرة المالية وما (إلى ذلك) فأين تقدير هذا في وضع كالذي جاءت
به هذه (التعليمات) بتنظيماتها المعكوسة ؟!

د - وكان حرياً بنا ان نرى العبرة لذلك من واقع المعسكرات ونرى خاصة
ما يتلف من المأكل والخبز على ابواب المعسكرات الى جانب ما يحمل الجنود
فضلا عن القادة على شراء ما يأكلونه من جيوبهم وطعام اهلهم ، ولا يرتضون
ما يقدم لهم حتى يكون من مثل ذلك منه ما يتلف .

هـ - وان تحمل السلطة بادارتها ومطوفها هذه الأعباء الاحتكارية إنما
يكون من بعدها ما يكون عادة من العجز والامهال وسوء الاستغلال وفتح الرشاوى
لقوم تذال لهم الصعوبات ولا تخرب تبخس حقوقهم تعلا بجد الامكان وضغط
الموسم والضرورات التي تبسح المحظورات ونحو هذه التمللات بشيرها السكاذب .
المعروف في أمثال هذه الاوضاع في أنحاء العالم كله ...

٤ - إن معنى (التنظيم) أن تعرف (الواقع) بعلمه و (الحاجات) بطبيعتها ثم تنظم (القدرات) لها وتدعمها السلطة بعونها .

أ - إن لكل عصر روحاً وحاجات وقدرات ، وإن كل (نظام) لا يراعي هذه النقاط محكوم عليه بالفشل ويحمل الشكوى في طياته باديء أمره وتأخذ الشكوى بالضغط والازدياد حتى يقع الانفجار الذي يحطم هذا النظام إن لم يجد من يتلافى الأمر بالاصلاح الجدي والدواء الناجع .

ب - وإن كل (خطة سلبية) حيال دواعي العصر وتزايد حاجاته ، و كل (ترقية) في (نظام موروث) كان من قبل هذه الظروف والحاجات ترقيعاً باسم (الاصلاح) إنما يزيد المفاسد لهذا النظام كمن يرقع ثوب طفل لشاب بلغ نضجه وأشدّه وذلك على نحو ما حدث فيما سمي من تنظيمات واصلاحات لموسم العام ١٣٩٥ فإنه مد الحماة بماء رغم أنه لم ينفذ بمداه ومفعوله وكان من ساعته الأولى سيء الأثر بما فرض من عقبات جديدة على الحج والحجاج .

لهذا فإن لابد من وضع (الحاجات) في كفة (والقدرات) في كفة اخرى ثم يكون على أساس ذلك وضع (النظام) لخدمة الداس في نظام يستهدف مقاصد تذليل الصعوبات وتوفير قدرات وخدمات على مستوى مانها وينمو من الحاجات بحكم طبيعة العصر وحاجاته ، ان ميزة النظام الصالح انه يشعر من يطبق عليه أنه جاءه بفائدة لم تكن من قبل هذا النظام وأنها لا تكون بدونه .

ج - وإن من دواعي الضلالة في هذه التنظيمات المشار اليها أنها قصرت نظرها على ما ألفت من مورد وما تريد به هذا المورد وما تستطيع أن تستأثر به باسم التنظيم ، ولهذا جعلت هذا التنظيم زيادة في الأعباء لا في تسهيل الحج وتوفير الخدمات ، وأصبحت بذلك السلطة وسيلة (تذكر) بزيادة العقبات بدليل أن أن توفر من سلطانها ما يذلل الصعوبات ، وقد ستر ذلك كله ببرقع مهمل مقصوح باسم (تجديد شروط الاستطاعة) التي ارتبطت بها فريضة الحج على العباد!

د - إن الحج هو الهدف ، وإن كل تنظيم يعطل من أسبابه ما يعطل ويحتكر أو يقف مع عجزه الكسول رضاء بما كان عليه الحال ، فإنه تنظيم فاشل لا تتقبله قلوب مؤمنة تهوي إلى ديار حجبها لتؤدي فيها مناسكها .. ولكل عصر ميزان وذوق وحاجات وحكم وينبغي أن يكون ذلك كله نصب عيني من يضع النظام ...

هـ - إن الحكم بسلطانه قدرة ينبغي أن توضع في خدمة الحجيج لتذليل وتيسير أمره وليست لفرض فرائض ووضع مزيد من العقبات يشعر معها الحاج أنه كان أقدر وأيسر له ما كان بدون هذه التنظيمات .

و - وإن الأزمة قد برزت بروز المشكلة ، لأن الحج يتصل بزمان ومكان محدودين ، وهذا التحديد قد جعل الازدحام يبلغ أشده بالنسبة للأوضاع المألوفة والاصلاحات التي لم تبلغ حد الحاجة .

١ - وإن هذا الاقبال بلا شك سيأخذ بالازدحام والاشتداد لتوفر الدواعي اليه وفي مقدمتها سهولة المواصلات في عصر الرحلات والسرعة . وهذا مما يجعل الازدياد الى مد لا يقف عند حد ، وعلى هذا ينبغي أن يكون الحل بالنظر للمشكلة وإيجاد الحلول ووضع النظام لها على أساس من معرفة هذه الحقيقة والواقع من الأمر ، ولا يقرم الحل على تجاهل ذلك ولا على وضع المعوقات المصطنعة .

٢ - وكانت الخطوة (لحل هذه المشكلة) عندما بدأ الاحساس فيها بعد الحرب العالمية الثانية (على التقدير الملحوظ يومئذ) قد قامت على (التوسعة التامة) للمسجدين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة .

٣ - وكان (تنظيم السير) بالشكل الذي مايزال متبعاً بالاتجاه الموحد حيثما فرض من شوارع البلدين المقدسين .

٤ - هذا إضافة إلى أمور أخرى مساعدة كتضييق مكان حفظ (مقام ابراهيم)

حتى أصبح بشكل لا يعرقل ماتم من (توسعة دائرة المطاف) والطواف من وراء المقام.
٥ - ثم كانت مفاجأة الزحام من بعد ذلك بازدياد الحجيج في موسم (عام ١٣٩٤ هـ ١٩٧٤ م) ، وقد أسفرت عن وجهها وأعطت حكمها بالنسبة للخطة السابقة بأنها لا تسد الحاجة ولا تحقق الأمنية .

١ - وهذا ما حمل جلالة الملك فيصل آل السعود (في عامه الأخير رحمه الله) أن يتوجه ببنائه وخاصة لأبناء مملكته قائلاً : ه أرجو ولا أمنع أن لا يقبل على هذا الموسم من سبق له أن أدى فريضته ، وذلك ليتسع المجال لآخواننا الآخرين الذين يقبلون على أداء الفريضة من كل فج عميق ، .

وبهذا ضرب الأسوة بنفسه وحاشيته فلم يحج آنذاك ولم يحج من تابعه .
ب - وتحدث المتحدثون عن الخطة التي يجب اتباعها في حل هذه المشكلة وتعددت الآراء كل بما يمثل دوافعه وغايته بوجهة نظره .

٦ - وليس هنا مجال النقد لرأي سابي بدا لمن يقف مهوراً وقفة العاجز أمام هذه المشكلة بشكلها المفاجيء له ، فضلا عن التصدي لمن يلتقي معه بالخطة السلبية ولكن تحقيقاً لأمنية ملحة يد لها أن لو منع الحج كلياً وهو يريد أن يصد عن بيت الله عباده المؤمنين ، ما وجد مثل هذا الملحد إلى ذلك حيلة أو تعلقة ليبرر بها هوى نفسه وإلحاده .

وإنما نقف من هذين الاتجاهين موقف من يكشف عن خطة تسمى (خطة إصلاح وتنظيم) وهي تقوم حيناً على (الترفيع) وأخرى على (زيادة المساويء وتوليد المشاكل الجديدة) من حيث يشعر أصحابها أو لا يشعرون ...

أ - إن النظم والأوضاع التي تصاحبها المشاكل التي تضيق منها الصدور وتضج منها الأسمنة كثيراً ما تكون صالحة في منشئها وبموجب أوضاع زمانها ثم تبدلت الأوضاع بحكم الزمن وما يجيء به من حاجات وقدرات فلم تعد على ذلك صالحة ولا يحل منها المشكلة تعديل ولا ترفيع .

نظام المطوفين :

١ - وإن من ذلك (نظام المطوفين) ، فقد كان في نشأته (على الفطرة العربية والسجايا الاسلامية) قائماً على مبدأ (الضيافة) والترحيب (بضيوف الرحمن) إضافة إلى (تعليم) ابن مكة مناسك الحج لمن جاءه قادماً ولا علم له بالمناسك وأحكامها ...

ويرجع الأساس في ذلك من مبدأ (الضيافة) العربية على سنة ابراهيم الخليل عليه السلام ، وعلى أن طلب العلم فريضة ونشره فريضة ، وأن خدمة الحجيج بذاته مكرمة تأنس بها النفوس العربية منذ الجاهلية حتى قام لها على الرعاية والحماية (حلف الفضول) من قبل البعثة المحمدية وعززه الرسول ﷺ بقوله : (ولو دعيت اليه في الاسلام لأجبت) !

وأصبح مع تداد الزمن عمل المطوفين (نظاماً) لمهنة واختصاص ثم أصبح من بعد الموت أيضاً (ميراثاً) وربطت السلطة به « نظام أمنها » لمعرفة القادمين والعائدين ورقابة ذلك ... وفرضت للمطوف (رسوماً) لقاء الخدمات التي يقدمها للحجاج .

وتنوعت المعاملات وحدود الأجور والأكراميات بأساليب عدة تظل رغم ذلك أساسها التراضي ، دائراً بين التسامح والأكرام حيناً من جانب المطوف وأخرى من جانب الحاج ...

وكان الاقبال على المطوف نتيجة دعايته هو وذويه والراضين عنه من نزلائه في غالب الأحيان ، ثم امتدت أيدي السمسرة والوساطة والمشاركة بالمغنم من الحاج واقتطاع « العمولة » على المطوف .

وكان المطوف على ذلك لا يدري ما يكون عليه حاله في كل موسم من إقبال حتى يضيق (صدرأً ومنزلاً) بعدد حجاجه أو ما يكون عليه من إدبار حتى لا يجد المطوف ما يسد نفقة ما أعده لموسمه ...

وكان انعكاس أثر ذلك على الحاج مختلفا فتارة تزيد به العناية وتارة يلقى من الصدود والاهمال بل والعجرفة والمطمع ما يؤدي الحاج في نفسه بل في كرامته إضافة إلى ماله ...

وإذا كان هذا النظام للمطوفين موروثا عن أبام إقبال الجميع بين ماشٍ وراكب ناقة أو باخرة ثم تعاقبت الايام وامتد هذا النظام إلى عصر السيارات والطائرات ثم كانت تلك مشكلته من اضطراب قدرة المطوف وازدياد حاجة الحاج بازدياد إقبالهم ، فان هذا النظام لم يعد صالحا لهذا الزمن بوفوده الوافدة بسببها مع السيارات والطائرات وما إلى ذلك ...

ولهذا كان اعتماد نظام المطوفين أساسا لا يأنلف مع طبيعة العصر واتساع نظم الحكومة وأمنها ، ولا مع عصر السياحة وحريتها والدعاية لها ... ولا مع أساليب الأمم في معاملتهم لاقبال الأغراب عليها باطراد أوفي مواسم معينة . ولهذا وجبت رعاية نظام العصر على نحو أساليب الأمم التي لم تعرف نظام المطوفين واحتكاه كما أسلفنا في (ص ٢١ وما إليها) .

ان معاملة الحاج لها أثرها في الدعوة إلى الحج وشريعته وللحكومة وبلادها تحبعا لحسن السمعة أو سوءها ، وقديما قيل : (السنة الخلق أقلام الحق) . وما شهد به المسامون كان شهادة لله ، وإن موازين العصر ونفوس الناس قد أصبحت لا تحتمل ما كانت تحتمله بالأمس في عصر الأسفار الشاقة برأ وبجرا .

٢ - وإن عصرنا عصر الفنادق والمطاعم والبيوت المفروشة وأندية الشباب يقبل عليها من يقبل ويتركها من يتركها ولو بعد يوم مادام لا يرى فيها راحته ، فخيم « احتكار » مطوف للزبون في موسم أحسن اليه أو أساء معاملته ؟ ! ولم لا تهيا الأسباب البديلة ترعى المتوسط ومن دونه بمثل رعاية الأندية للشباب بماسم الجمعيات والأندية وبيوت الكشافة والشباب والطلاب والخيمات ونحو ذلك ! وإننا نرى في البلاد السياحية إلى جانب الفنادق أنها أحيانا تفتح بيوت

الآن كلياً أو جزئياً فتكون أبوابها مفتحة برسوم محددة المستأجرين بيتاً أو مقاماً أو نزلاً (بانسيون) وتكون مع الطعام أو بدونه كما تكون إلى جانبها بيوت تتقبل الضيافة في أيام الموسم وزحمته حتى بالجمان أو ما يشبه ذلك من تخفيض الرسوم والأسعار تقديراً لحاجة العصر وتشجيعاً للقبال .

وبذلك توفرت المعاملة الكريمة والرعاية والخدمة المرضية للأفراد والجماعات وخاصة منها التي تقوم بالرحلات الجماعية كالمدارس والكشافة والاندية الرياضية والثقافية والجمعيات .

٣ - إن في سبق العالم المعاصر لتنظيم ذلك ونحوه غناء عن أسلوب المطوفين الذي انطوى عهده ولا يصلح بقاؤه وقد زالت ذراعيه وظهر فساداه وهو فساد في أطراذ وأزدياد مع تطاول عهده بالابقاء عليه .

آ - وان التبديل لنظام المطوفين لا يعني انقطاع موارد عيش كانت لهم قائمة على موسم الحج فلك لأن الموسم مازال قائماً والحجيج مازال مقبلاً ، وإنما يختلف أسلوب النظام بما يناسب العصر بطبيعته وحاجاته ، ولا معنى للابقاء على سلطة مطوف على الحاج لا باسم الامن والسفر ولا غيره وليس في الابقاء على ذلك إلا معنى الاحتكار والابقاء على من وقع ضحية في شرك من سجل اسمه عليه من يوم مقدمه أو فرض عليه اللحاق به فرضاً (كما حدث منذ موسم عام المنصرم ١٣٩٥ ١٩٧٥ م) حتى لا يبالي المطوف بالحاج ولا بشيء من حقوقه ورعايتها ، وكثيراً ما نرى أنه لا يرى المطوف الحاج ولا يعرفه بغير اسمه المسجل عليه عند استيقاء (الرسم) عنه ...

ب - وان دور السلطة بعد ذلك يقوم بواجبه على (الرقابة) كما ترى ذلك في البلاد التي تعنى بالسياحة والمصائف والمشاتي وتهم بالموسم وحسن السمعة واعتدال الاسعار ومنع الاحتكار .

— ان الحج بموسمه المتبادر المتجدد عاما فعاما بحاجة إلى رعاية تناسبه وان من ابرز وسائلها العناية تحت إشراف السلطة بإعداد ما ينبغي من (مخيمات) إضافة الى ما تجعل تحت تصرفها من بنايات وعلى ذلك تحدد بحق الرسوم والاجور والاسعار بصورة معتدلة ترى حال الحجاج وبلاذهم التي يقبلون منها وتقام لصالح الحرمين وأوقافها وخاصة ما يمكن اشادته من المباني بعد ترك الطابق الارضي ملحقة بالحرم حيثما وسع الحرم في المدينة من وراء جدرانها القائمة كل على سواء من ثراء النقط والازدهار وقوة الدخل وقيمة العملة فلا بد من رعاية الحال المختلفة من ذلك لتكون الرسوم والاجور والاسعار بحق معتدلة، وبمثل هذا التنظيم القويم يتم التوفيق بين الحاجات والقدرات وبين الحجاج ومن يتعامل معهم دون احتكار لزحمة الموسم وسوء استغلاله وتكون بذلك السلطة عاملة بحق لصالح الفريقين بهذا النظام بديل التمشي باسم التنظيم مع مقاسد الماضي باسم الإصلاح وترقيع ما وجدنا عليه الآباء من نظام المطوفين. . . رغم تزايد اسوائه وطغيان فسادة وضجيج الارض والسماء من سوء أوضاعه .

• — وان من العوامل في الازدهار غلاء الاسعار ما يرجع بغالبه الى نظوة خاطئة بما فيها من غيار المواصلات الداخلية خاصة :

آ — وقد كانت منذ الحرب العالمية الثانية تجربة حصر النقل للحجاج بالشركة العربية السعودية فقد بدأت الحاجة ضغط الموسم مع قلة الوسائل ثم انقلبت سلطة محتكرة وغم زوال الدواعي وانتهاء الحرب ووفرة السيارات وقد أدى الاحتكار في هذه الناحية الى تعطيل الحجاج وتأخيرهم ومنع حركتهم حتى تنقلهم هذه الشركة حسب قدرتها المتخلفة عن حاجة الموسم وخاصة مع ازدياد الاقبال عليه، وان هذه الشركة لا تفك الحاج من أسرها الا اذا دفع لها الرسم المعلوم كأنها أركبته ونقلته فيدفع ما يدفع شاكراً أو صاغراً لينجو بنفسه من أسرها ويغتم وقته في هذه الزحمة وفي زمن من سمته السرعة التي ارتبطت مصالح الناس بها .

وليس من دواعي الابقاء على هذا النظام غير استمرار هذا المورد بهذا الأسلوب الظالم والمعتل لمصالح الناس ، والمستعبد لحرية الناس .

ب - وإن أمر الطائرات على مثل ذلك حين تمر الطائرات من مثل ديار الشام بأرض المدينة المنورة ولا يسمح لها بأنزال ركابها إلا أن تكون الطائرة للخطوط السعودية وبذلك يفرض على الركاب بغير الطائرات السعودية أن ينزلوا في جدة وأن يذهبوا منها إلى (المدينة المنورة) ثم يعودوا فيعطلوا وقتاً للذهاب والاياب ويغرموا نفقة لا داعي لها ويزيدوا الموسم زحمة لا داعي لها أيضاً .

٦ - إن استئثار البلاد التي تخص مواصلاتها الداخلية بالنقل فيها لا يشبه حالها حال الحج وبلاده بزحمته وموسمه وخاصة مع مزيد من الاقبال والتفكير بالتخلص من ضغطه وما يصاحبه من عجز عن النهوض بالاعباء مع الراحة للناس .
آ - بل إن موسماً هذا وضعه محتاج إلى فتح الأبواب لكل من يساهم بحمل العبء فيه كضرورة وإنجاد ، تسهلاً على العباد ، ولا يبرر هذا التعطيل للناس وما يصاحبه من إهمال وسوء استغلال لمجرد هذا الاحتكار المواصلات الداخلية تقليداً لبلاد تخص نفسها وأهلها بمواصلاتها الداخلية ، وليس من حال مواصلاتها الداخلية حال تشبه الحبيج بزحمته ووفوته وحاجاته .

٧ - وإن من طبيعة العصر إقبال السيارات برأ ، وبديل أن ينظر إلى ذلك بحكم العصر وطبيعته وانها ثمرة من منافعه وحاجاته ، فإنما وقفت إدارة الحج منها موقفها السلبي والمحتكر في آن معاً ، ولكن بامم منع الزحام بالسيارات فمنعت حركة هذه السيارات الوافدة وذلك بايقافها في (محطات) ، بديل أن يقال : كيف ينظم أهل الدنيا المواصلات مع إقبال مثل هذه السيارات الوافدة .

أ - وقلبوا بذلك ما تيسره السيارات لأصحابها من سهولة الحركة قلبوه إلى نتيجة عكسية من تضيق الحركة عليهم حين تحجز سياراتهم بالمحطات وتمنع من

المشاركة بتخفيف الضغط من جراء نقص المواصلات الداخلية عند الموسم و كأنهم أرادوا بذلك فرض بقاء الوضع الداخلي للحركة على مستوى الحاضر بضروراته وأزمته . هذا مع أن اطراد زيادة السيارات مع اطراد ازدياد الحجاج هو السبيل الحقيقية الطبيعية لمعالجة مشكلة الزحام . وإنما يبقى أسلوب تنظيم السير وما يتصل به لثلاث تنقلب وسائل النقل والحركة وسائل تعطيل لها وهذا ما سنلم بطرائق لمعالجته ...

ج - وإنما لو رجعنا مع الزمن إلى سنوات (قبل هذا الازدياد الشديد الأخير) وقلنا لقائد عسكري دونك هذا العديد (بمختلف لغاته وتربيته ومستوياته) مع سلطانه العسكري وعديد جنده وأعوانه فإننا نجد أنه لا يتمكن من نقلهم بأيام ... وبينما شاهد ما شهده التاريخ بانتقالهم في (ليلة) أو بعضها . وذلك بفضل (مرونة الحركة) دون عرقلتها باسم (التنظيم) وقيادته ، ذلك أنه نرى أن وضع الحج (بروحه الخاصة وبواعثه النفسية ومشاعر الايمان المسيطرة) يحقق معجزة ، فمن أراد زيادة التيسير بتخطيطه ليقابل بذلك زيادة الازدحام فلما عليه إلا أن ينقل من الواقع ودراسة مشاهداته ما يستتير به في رسم الخط التنظيمية وذلك على أساس زيادة القدرة في الحرية لا وضع العقبات باسم التنظيم ...

د - ولهذا يجب تيسير حركة السيارات القادمة لا تعطيلها وان توقيفها وتعطيلها في الموسم يشبه بمنطقة السايي مقالة من يقول امنعوا الجريمة وتخلصوا من حياة صاحبها مادام مع حياته وحركته مشكلة كالجريمة والشر والفساد في الأرض .

هـ - وإن حياة الانسان بحاجاته وقدراته تحتاج إلى موازنة وتوفيق لا إلى سلبية وإبادة وتعطيل ، فهذه سنة الله في هذه الخليفة منذ خاطبهم قائلا : « ونبلوكم بالشر واخبر فتنة » فمدار حكمة أصحاب الطريق الأقوم هي هذا التوفيق بما يتمين

به عصر السرعة لا بتعطيل خصائص السرعة وأدوات إسرارها بتوقيف السيارات
بمحطات ، واستغلال الموسم بحكم السلطة وفرض الاحتكاكات للمواصلات
الداخلية ، وزيادة الزحمة بتعطيل الحركة وسياراتها ...
و- وحسبنا من برهان مفسد الوضع الراهن الشاذ أن كان من المفارقات
أن راكب الطائرة يضيع من الأيام لمقدمه وعودته أضعاف ما يحتاج اليه بواقع
أمره لولا هذا الأسلوب من الحصر والاحتكار ... وكان ذلك في هذا الجو
الضاغط من زحمة الحج وتزايدده ...



مقترحات جديدة

وان المعرفة بما سلف من هذه المشكلة وما مرت به من نظرات من اهتم
بها وعمل لها واختلاف المناهج التي قامت عليها انما يدعونا لبيان ما كشف الله لنا
وهذا انما اليه من رأي ونصيحة تصل بين الواقع وحاجاته والقدرة وامكاناتها وترسم
الخطوة التي تحكم الصلة بين ذلك بالتنظيم الجديد المنشود بعون الله وتأييده ، فأقدم
ذلك وان لم أكن سائقاً يوماً ولا صاحب سيارة وانما أنا امرؤ يبصر (الحاجات)
ويرى كيف تعطل (القدرات) وكيف ينبغي أن تستخدم فيقدم التنظيم
الجديد ، ما هداه اليه الله المنة ، ومن وجد خيراً فليحمد الله .

مكة والمدينة

ومسكنة الزحام والسير فيهما

١ - إن للبلدين المقدسين وضعاً دولياً فريداً لتواصل مواسمهما بين حج وعمرة وزيارة ، فلا يقاس الوضع فيها عمرانياً وتنظيمياً وبالتالي لا يقاس أمر السير وتنظيمه فيها بغيرهما من بلاد العالم ليؤخذ بنظامه تقليداً ...

١ - وإن الحركة فيها تتصل مواسلاتها الداخلية بحركة مستمرة من مواسلاتها الخارجية ، وإن هم القادم الوصول إلى مستقره فيها وأن يرتحل منه .

٢ - وإن ما يلاحظ من هذا الوضع أن الوفود المتقاطرة همها أيضاً من مكة (كعبتها) المشرفة والطواف بها ، ومن الحرم النبوي (روضته الشريفة) والسلام على صاحبها الرسول الأكرم وصاحبيه عليه وعليهما أفضل الصلاة والتسليم .

٣ - وأن كل من حل بهذين البلدين هممه الاقتراب من هاتين القطين ولهذا وجب :

أولاً الشوارع : تجعل الشوارع ومنازلها على قرب من المساكن المقصودين وأن تكون على بعد متقارب بالنسبة لختلف أنحاء البلد ومنازلها التي ينزل الحجاج والزائرون فيها :

أ - وسبيل ذلك أن يعتبر الحرمان كنقطة الدائرة وأن تنظم من حولهما البلدة في مكة والمدينة وذلك بشوارع يحيط بالحرم ثم تترك مساحة (قطاع) للمباني تقام في هذا القطاع ثم يكون من ورائه شارع دائري آخر كأنما مركزه الحرم نفسه ثم تترك مساحة ثانية بقطاع آخر للبناء وتأتي دائرة ثالثة بالشارع الآخر وهكذا دواليك مهما امتد العمران وتزايد السكان .

ويجعل محل البناء بين حلقتي الشارعين بمثابة قطاعات من الدائرة تفصل بينهما منافذ بين الشارعين الدائريين .

ب- وأما حيث تضيق رقعة الأرض عن الالتفاف بالشارع دائرياً لمثل قيام التلال في مكة فإن الخط يتوكّ تنفيذه عند هذه التلال إن لم تكن توفرت الأسباب لتوقلها والارتقاء بالطريق إليها وعليها ، ولا تلبث الأيام المقبلة أن تمهد لذلك الأسباب بحكم ما صارت إليه وسائل العمران والهندسة وفنون الطرق التي ذلت بها جبال العالم العليا وتممها الشاحنة فكيف بتلال كشعاب مكة متظامنة محدودة تسيل مع أوديتها الطرقات بسهولة .

ج- وإن الشوارع الدائرية تقطع بشوارع عمودية على الحرمين وأخرى موازية للحرمين وتجعل هناك عند نقاط التقائها بالشوارع الدائرية دوائر لحركات الالتفاف من جهة إلى عكسها ومن شارع إلى آخر ، فإن اقتصار السير على الاتجاه الواحد يجعل السالك مضطراً لاجتياز مسافات بعيدة لا حاجة له بها ، ويشغل من الطريق ما ينبغي أن يفرغ لصاحب الحاجة إليه .

ثانياً : تنظيم العمران ويجعل في مكة والمدينة على أساس من المبدأ القائل مقالة النبوة (مكة كلها حرم) وكذلك (ما بين لابتي المدينة حرم) .

أ- فيطبق هذا المبدأ على الطابق الأرضي المحاذي للشوارع حتى يكون مادون الأبنية التي تقام على الأعمدة من فوقها كأنها امتداد للشوارع على سويتها ، الراحدة ، كأن وجه الأرض بذلك ما زال على حاله الطبيعية خالياً من بناء الأعمدة التي يقوم البناء من فوقها بطوابقه .

ب - ويكون لأصحاب البناء الطابق الأول ويستخدم منه ما يستخدم للمتاجر والمكاتب ، وتجعل المساكن من فوق ذلك .

ج- وأما ما دون وجه الأرض ، فيجعل « أقبية » للمحاجات الثلاث

الأساسية : قسم للطهارة « المراحض والوضوء » ، وقسم لموقف السيارات ، وقسم كمستودعات للبضائع التجارية وأنقالها ...

د - وإن رفع البناء على أعمدة مكشوفة في طابقها الأرضي وتنظيم المرافق والمحلات التجارية والسكنية وغيرها على أساس ذلك هو الذي يسد الحاجات دون التباعد عن الحرمين كما حدث بأسلوب توسعتها على الوضع الراهن الذي لم يحقق القصد وخاصة لما يطرأ من حاجات في وسط هذا الزحام ، وقد بعدت المرافق للطهارة عن صاحب الحاجة كما بعدت مساكنه عن النقطة المقصودة من الحرمين حين اكتسحت البيوت والمباني باسم هذا الأسلوب من توعية الحرمين الشريفين ...

هـ - إن التوسعة المسجد على الخطة التي درجت من الحاق الأرض ومبائها بالمسجد مع أنها (على غلاء أكلافها لاستملاك مبانيها) لا تحقق القصد ، وتبعد الحجاج عن مواطن رغبته بالمقام كما تبعد عنه مواطن حاجاته لمثل وضوئه وطهارته ، وتزيد الحركة ازدحاماً في الشوارع على مقدار ما تبعد المنزل عن المسجدين في مكة المكرمة والمدينة المنورة .

و - وقد أخذت بنظاء الطوابق والاعمدة بلاد مثل سرورية ولبنان من أجل تأمين مواقف للسيارات أو الانتفاع بها كملاجيء للدفاع المدني وكذلك انتزع شطر من الطبقة الأرضية فجعل « أرصفة » للمشاة يظلها البناء في صيف وشتاء وينسج زحام الطريق .

ز - وإن حاجات بلاد المناسك لمثل ما ذكرت أولى وأجدر وأنفع وأيسر . وإن تنفيذ مبدأ « مكة كلها حرم » و « ما بين لابتي المدينة » حرم ، بتطبيق ذلك في حدود الطابق الأرضي ومادونه وهو القبو كما أسلفت ، انما يمكننا أيضاً من أمور عدة منها :

(١) - تعداد المطافات على أيسر وجه حتى بالاستفادة من الشوارع الدائرية

حول المسجد للطواف فيها أو بمطافات يطاف فيها حول الكعبة المعظمة ركوباً كما كان يركب في المسعى ، وقد نفذت خطة الطوابق في المسعى كما وسعت حدوده بعد ضيق الوادي على أصله وكان لذلك وجهه الشرعي ، وبدأ الاقبال جماهيرياً على السعي في الطابق العلوي تخلصاً من الزحام وأخطاره ، وطبيعي أنه لا يضير السيارات وراكبها أن تطوف بمحيط الدائرة آنذاك حول الكعبة المعظمة ،

١ - هذا مع الإشارة إلى أن الكعبة المشرفة محرمة في جوها حتى لو زال بناؤها لا سمح الله بمثل السيل ، فالحرمة لها ، والطواف بها من الأرض السابعة إلى السماء السابعة سواء وفي هذا الحال مجال آخر لتعداد المطافات بمثل الطابق والسطح من البناء القائم بباحة المسجد وهذا أيسر وقد توفرت أسباب التمكن من إقامة المطافات المتحركة كهربائياً أيضاً .

وإن حركة الأرض بمن عليها طواف لهم ، شأن من يركب جملة طائفين ساعياً أو سيارته أو عربته .

وعلى اشتراط الطواف في المسجد كالشافعة فحكم مشارفه عند الزحام حكم المسجد

(٢) - : يمكن الحجاج السكنى قريباً من نقطة الهدف من المسجدين (من الكعبة المعظمة بمكة المشرفة) ومن الروضة الشريفة في المدينة المنورة ولك بإشادة البناء غير بعيد منها لعدم الحاجة إلى أسلوب التوسعة المبعدة عن ذلك ، عندما نكتفي بأن يلحق الطابق الأرضي بالمسجد ويشاد البناء من فوقه على الأعمدة كما سلف .

وهذا الأسلوب من البناء نتجنب أضرار البعديزوار المسجدين عن مرافق حاجاتهم لوضوئهم وطهارتهم إضافة إلى تيسير إقامتهم قريباً مما يستهدفون من قرب الكعبة المعظمة والروضة الشريفة .

١ - وإن كل شارع رئيسي ينبغي أن يتسع على الأقل إلى رصيفين ومن جانبيه يتسع إلى موقف سيارة في جانب كل من الرصيفين هذا مع بقاء السعة في أوسط الطريق إلى مسيرة سيارتين لتواصل أوسط الشارع سيرهما إلى حيث شاءتا .

إن ضيق مسجدي مكة المكرمة والمدينة المنورة بعدد الحجاج قد جعلهم يقيمون الصلاة في الشوارع حتى ليقطعون السير فيها قبل كل صلاة بمدة طويلة ونرى من ذلك الصفوف في المدينة المنورة تمتد يمتد إلى نهاية الشارع العيني ويسرة الى البقيع ونرى مثل ذلك في شارع بعد آخر حتى في الشارع القبلي المتقدم على الامام فإنه يمتليء ويضيق بالناس من الزحام .

ك - ولا بد لهذا من تأمين المواصلات باطراد فلا تنقطع حركة السير لاحتلال الشوارع وامتلائها بالمصلين كل يوم خمس مرات وذلك باقامة جسور مرتفعة على الشوارع تجعل للسيارات والمشاة حيث لا غناء عن ذلك وهذا على نحو ما أحسنت الحكومة السعودية صنماً في منى فوق الشوارع الضخام من جهة وفوق الجمرات من جهة أخرى فضلاً عما يجب من اسلوب القطارات حتى الجوفية (في بطن الأرض - المترو) والمعلقة بالهواء .

ثانياً : خطة السير :

ينبغي فيها ملاحظة الميزة الاصلية للبلدين مكة والمدينة انهما مركزان للحركة الداخلية المتصلة أبداً بالحركة الخارجية قدوماً اليهما وارتحالاً عنها بصورة دائمة ليلاً ونهاراً دون انقطاع .

أ - ان سهولة التحرك في المواصلات تستلزم أن تجعل لكل شارع يمتد دوائرية للانعطاف منه تمكن من الانتقال من شارع الى آخر بل ولتغيير الاتجاه حيث يجب وفي تسهيل ذلك اضافة الى ما سلف من الشوارع (المخططة للبلدين دائرية وعمودية على الحرم وموازية للشوارع المحيطة به) تيسير لحركة السير والمواصلات فكيف اذا أضيفت جسور عليا فوق بعض الطرقات تمكن من استمرار المواصلات .

ب - وان الاقتصار على وحدة الاتجاه في سير السيارات ومع وضع الشوارع الراهن يجعلها تغص بالسيارات وتزدحم للمشاة حتى لتشتغل من ذلك السيارات بمسيرتها في الطرقات مساحات ومسافات لا حاجة لها بالسير فيها

وبذلك تراحم السيارات التي تحتاج الى السير فيها بغير ضرورة داعية ، اللهم الا ما ظن أنه يخفف ضغط السير بالتزام الاتجاه الموحد .

وخاصة في بلدين هذا شأنها وما تتميز به أوضاعها من الاقبال واطوار الازدياد في حل وترحال . . .

ج - وان تنظيم السير الموحد اتجاهاه على الوضع الراهن لا يمكن صاحب السيارة الحاج من الوصول الى المبنى الذي يقصده وزاد الأمر سوءاً حين منعت السيارات القادمة من الخارج أن تدخل مكة والمدينة وألزمت بالوقوف في محطات خاوجها في ظروف المواسم مع أن المواسم يلزمها نقل ثقل الاحمال ، هذا فضلا عن مشقة المسير وخاصة اذا ذكرنا في الايام الحارة ما يكون من (ضربة الشمس) ويتعرض أكثر الايام تعتبر حارة في مكة المكرمة والكثير الكثير من الحجاج يتعرض بقابليته الى أخطار ضربة الشمس القاتلة حتى الموت .

لهذا لا بد من تيسير حركة القدوم والارتحال وجعلها جزءاً من حركة المواصلات الداخلية بالتنظيم للشوارع وتيسير حركة السير فيها على ما سلف .

د - هذا وان من أمس شؤون التنظيم (تنظيم البيانات والمصورات) التي تقدم في العالم عن المدن السياحية وطرقها ومؤسساتها وما يلزم الغريب معرفته عنها . هـ - وينبغي أن يستكثر لذلك من وضع مخططات لمواطن المشاعر بشوارعها ومؤسساتها والمراكز الاساسية فيها (لمثل المياه والمواحيض والاسعاف) .

و - ويستتبع ذلك أيضاً تحديد وتنظيم مراكز المطرفين والفنادق ومواقعها من الشوارع في مثل عرفات ومنى وتصور بشكل واضح مرقم ويمطى ذلك لكل حاج . ز - وبذلك يخفف ما وقع من ضغط وما يسبب من ضياع الضائمين ، الأمر الذي يتكرر في كل عام ولما يحل بمثل هذه الخطة المفيدة إذ كان الأمر قاصراً

على مراكز يأوي إليها أهل الضياع كمراح الغنم ، دون أن يفكر بأسباب الضياع واستئصال ما يمكن من أسبابه العديدة .

ج - وإن هذه الصور يجب أن تعطى سنوياً لأبناء المملكة ولاسيما في مكة والمدينة وجدة .

كما تجعل محلاً للنظر على طرقات هذه المدن مع المصورات اللازمة التي تسلم لكل سيارة قادمة ، ولكل حاج قادم بجرأ أو جواً .

ط - هذا ومن المفيد أن يعمل بإنشاء خط حديدي أو كهربائي إلى عرفات بدءاً من جدة ، فهو ييسر الانتقال بل ونقل لحوم النسك لتصنيعها وبالتالي لتوزيعها على مستحقيها ، بديل الحال الزرية التي لازلنا عليها .. وصفه ما يتلف منها .

رابعاً : الرقابة للسير والحركة :

بدأت باستخدام الطائرة العامودية (الهيلوكوبتر) فكان ظاهرة طيبة لتوجيه وتيسير الحركة وجاءت الاخبار بخطى أخرى حميدة لصالح ضبط الامن وذلك برقابة الحوادث في الطواف والشوارع بالمبصار (التلفزيون) وتصويرها بالاشربة المسجلة بالمبصار (تلفزيونياً) حتى لا تخفى حادثة .

وإن هذه الخطوات الحميدة تقابل ببالغ الشكر والثناء ، وتبشر بأن في المملكة العربية السعودية رغبة جدية لمجاراة الزمن بدواعي الإصلاح الحضاري وهذا ما يشجع على متابعة البيان والمقترحات .

بهذا النظر على مستوى القدرة مالياً وعلمياً تجاري العصر في سد الحاجات ونحل المشكلات وتنهض البلاد المقدسة على غير خطة أهل التقليد للأغيار دون تبصر ولا اعتبار ولا تقدير لاختلاف الحاجات والبيئة بل . والعقيدة ولقد أراد بنا الله تعالى أن نكون أئمة قدوة ، وحدثنا رسول الله ﷺ من مساوي التقليد فإنها خطة اتسمت بالطفولة ، والعامل من اعتبار وفكر وقدر وحقق أهداف الاسلام وأقام أركانه ويسر لأهله حاجاتهم في دينهم ودنياهم ورعى حرمة شعائر الله في عصر العلم والثراء والتقدم على مستواه والمنة لله .

المناسك بتنظيمها محل مشكلة الزحام فيها

أولاً في عرفة :

لقد بدأنا الحديث من (عرفة) وموقفها لأنها رأس الامكنة المقصودة للمناسك ، (والحج عرفة) ، كما قال رسول الله ﷺ فالحج بهذا محدود في زمانه ومكانه ، وإن من تحديدهما على ما ألفنا ضيق الزحام الذي يمثل مشكلتنا المعاصرة في الحج .

ونحن من هذا التحديد نفهم اليوم بعمق هذا الحديث الشريف نفسه (الحج عرفة) ونرى من ذلك طريق حل المشكلة فتوى السعة بعد الضيق .

١ - فأما الزمان فانه محدود من زوال الشمس ظهر هذا اليوم الى طلوع فجر يوم عيد الاضحى المبارك .

٢ - غير أن الحسب فيه ان من أدرك في عرفة من هذا الزمان لحظة مطمئناً ولو كان وجوده هذا قائماً أو فاعداً أو مضطجعا في أرض عرفات أو سمائها فقد أدرك عرفة وأتم هذا الركن الركين من حجه .

٣ - وأما مكان عرفات فانه هضبة واسعة الحدود جداً ، فهي تتسع للملايين العديدة ، ولو افترضنا امتلاءها بحشود الحجاج فالوقوف حينئذ في مشارفها المتصلة بعرفة تأخذ حكمها ، وذلك على مثل حال المصلي يجد الجامع مزدحماً فيقف في جوار المسجد من الطريق بصف متتابع فيدرك بذلك صلاة الجمعة والجماعة ويكون حكمه واجره كمن كان داخل المسجد : وما جعل

عليكم في الدين من حرج ، بتكاليفه وأحكامه جل سبحانه .

أ - هذا فضلا عن إمكان الإدخال إلى عرفة جميع من ضاق بهم نهارها فوقف في مشارفها ، وذلك من بعد بدء الافاضة منها إلى مزدلفة عقب المغرب على ما يجب على من وقف نهاراً أن يجمع مع جزء نهاره جزءاً من الليل ولو لحظة مطمئنة من بعد الغياب وبذلك يتيسر للحجاج موقفهم من عرفة .

ب - وإذا ضاقت مكة بازدحام المقبلين عليها قبل يوم عرفة أمكن توجيه الزيادة عن استيعاب مكة رأساً إلى منى ومزدلفة وعرفه ، وبذلك لا يصد أحد عن الحج ، ومشاعره مهما أقبلت الوفود وتضاعف العدد ، ولا عذر مع هذا الحل لمن يصد عن بيت الله من أقبل عليه حتى مطلع فجر العيد لا بأمر باغلاق حدود المملكة ولا بأي أمر آخر فإنه : (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) وكيف يصد من أقبل يلي نداء ربه : لييك اللهم لييك ...

متى بلغوا مأملهم أن يقفوا ضمن حدود عرفة وأعلامها لحظة مطمئنة فإن لهم أن يطيلوا ما شاموا من ليالهم وفيه السعة إلى طلوع الفجر ، وإن كان الاختصار في الوقت هو المطلوب لينتهي الحاج إلى مبيته بمزدلفة قبل الفجر من ليلته هذه .

ثانياً : الافاضة من عرفات إلى مزدلفة :

هو ثاني مواقف الازدحام على أشده نتيجة الاسراع من عرفات ليصلي الحاج في مزدلفة المغرب والعشاء جمع تأخير ليلة العيد وليبيت فيها ، ووقت مبيتها مبتدؤه من المغرب ومنتهاه إلى الفجر ، يصلي ويدعو ويرتحل إلى منى ، هذا إن أتم الوقت كله ، وإنما يكفيه بعضه على تفصيل في الاحكام للاحوال المختلفة في المذاهب الفقهية .

أ - وإن الازدحام في هذا الحال يستوجب في معالجته تقسيم مزدلفة محاضر بامتدادها من أولها بعد عرفة إلى منتهاها من جهة منى وبمستطيلات يجعل واحداً منها طريقاً والآخر للنزول من جانبيه للمبيت فيه ويجعل الطريق على ذلك متسعاً

لأربع سيارات لتقف سيارة عن يمينه وأخرى عن يساره في الوقت الذي تواصل
سيارتان سيرهما إلى حيث ترغبان .

وتجعل بعض الشوارع أيضاً قاطعة عمودية على المستطيلات لتكون شوارع
فرعية للالتفاف وتغيير الاتجاه حسب الحاجة بحيث تمكن من التنقل بين
المستطيلات (المنازل والشوارع) والتوغل فيها عند اللزوم ، وبذلك يمكن
الانتفاع من كل شبر في مزدلفة والوقوف في كل مكان منها ، وتعد مستطيلات
المبيت بمائها ومراحيضها وتنظيمها إعداداً صالحاً وبذلك تتوفر الأسباب للحركة
والوقوف والمبيت في كل لحظة وفي كل رقعة من مزدلفة .

وبذلك يقيسر الوقوف لمن شاء يسير ومتابعة السير يسير في آن واحد .

ب - هذا بينما نرى بما تم ، ان جل العناية قد قصر على الطرق العابرة التي
تصل بين عرفات ومنى ، دون ملاحظة التنظيم الواجب للوقوف حتى ان
جنبات هذه الطرقات في مزدلفة يتعذر الحيدان منها إلى الارض الملاصقة لها
للووقوف والمبيت فيها .

ج - هذا مع الملاحظة بأن الحكم الشرعي في مبيت مزدلفة بين مشدد
ينزله منزلة الوقوف في عرفة ويقول : الحج مجمع ، ويلتزم فيه من بعد الافاضة من
عرفة إلى ما بعد صلاة الفجر ودعائه حتى إسفار النهار ، وبين مخفف يقتصر في
المبيت على الزمن القصير ، ولو قدر حط الرحال لصلاة المغرب والعشاء . . .

هذا إضافة إلى ما يسر عليه الصلاة والسلام من أمر المبيت حين أذن للنساء
والضعفاء وذوي الحاجات الذين يقومون بخدمات الحجيج والرعاء .

و - ومن هذا نرى للمبيت المعايير المختلفة من تعدد هذه الاحكام
بتيسيرها شرعاً بما يرفع الحرج وخاصة عند عدم الاستطاعة لمثل زيادة الحجيج
عن السعة المكانية .

هـ - يضاف إلى ذلك أن مشارف المناسك عند ازدحامها تأخذ حكمها

وتعتبر لاحقة بها كما أسلفت ويكون الوقوف فيها والمبيت بالتبعية للمشعر الحرام ، والتابع تابع ولا يفرد في الحكم ، فكل مزدلة .شعر حرام ومشارفها عند الازدحام بحكمها .

ولهذا فان مشكلة الزحام فيها والمبيت مبنية على توسعة في المكان وقصر في الزمان وفي ذلك كل التيسير مما ازداد الحجاج ملايين عديدة .

ثالثاً في منى :

منى مناخ الحجاج حقاً فهي موطن الرمي والذبح والمبيت عند الذهاب إلى عرفات سنة ، وفي الليلتين أو الثلاث من ليالي العيد أيام التشريق ، فالحركة فيها شديدة باستقبال صبيحة العيد بالرمي والذبح والذهاب لمن تعجل لطواف الزيارة والعودة إليها للمبيت فيها وفيها سعة الوقت لتزاور الحجاج فيها ، كل ذلك يجعل لمنى وضعاً يحتاج إلى عناية تامة فائقة .

هندسة منى :

وأول الأمر ان تعتبر بواديا (وهذه العبادات والحركة فيها) أنها أرض واحدة للمالك واحد هو رب العالمين .

الشوارع :

وان تقسم رقعتها محاضر بشوارع بين متعامدة ودائرية تحيط بواديا للدخول إلى منى والخروج منها وتجعل لتقاط التعاقد بين الشوارع دوائر تمكن من الالتفاف لتغيير الاتجاه والانتقال من شارع لآخر وتجعل الشوارع دائماً من السعة بحيث تتسع لوقوف السيارات في جانبيها ، ومواصلة سياراتين مسيرهما مع سعة إضافيه للمشاة .

البناء :

وأما البناء فيها فيحسن كما يتردد منذ سنوات أن يتم فيها وتعمر جميعاً على أعمدة بطوابق عديدة بحيث يجعل الطابق الأرضي عاماً بالجنان ، وتجعل الإقامة

في المباني برسم محدود .

وهذا ما يحسن أن يتم لحساب وقف الحرمين وخدمات الحجيج على نحو ما أسلفت في مكة والمدينة حينما ألحقت أرض بالمسجدين من وراء جدرانها الحاضرة ففي ذلك إصلاح في الحاضر مع يسر الرخاء بفضل الله ومنه وضمان المستقبل حتى البعيد البعيد بموارد هذه الاوقاف لخدمات الحج وأهله .

الموافق :

وينبغي ان يلحظ في طابق الاعمدة الارضي تنظيم الحاجة للوضوء والطهارة بل وللذبح فيه كما يقع بالفعل حين نرى الهدي والنسك في كل مكان رغم وجود المذبح العام .

الصحة العامة :

وهذا نحافظ على الوضع الصحي الذي يفسد في منى عادة وخاصة في الصيف بحكم طول المقام فيها وما يرافق وضعها من نقص الماء ومواطن الطهارة وانتشار الذبائح هنا وهناك كأنها جيف بديل أن ينتفع بها عباد الله ومن أوجب تعالى الذبح لهم من القانع والمعتز والبائس الفقير .

وجوه للانتفاع :

ويمكن هندسة المنطقة ومحاضرها كمخيمات على وضعها الراهن ولكن على هذا النحو من وضع المياه والمجاري والتنسيق بين الحاجات فيها .

وإن منى تعتبر بطبيعتها وقربها من مكة بمثابة امتداد للسكن في مكة بحكم اتساع العمران حتى يمكن الاستفادة من العمران فيها بعد الموسم على امتداد السنة وذلك حين يلحظ تقسيم البناء فيها وجوه والانتفاع وسيله مما يسهل معه إفراغها للموسم كأن تجعل مدينة جامعية والمدارس المنوعة وخاصة الفنية والعالية وللسكنات ولأنواع من المستودعات لمثل السيارات وما إلى ذلك مما يستفيد من هذه المباني بل وبمناحتها من طابق الاعمدة في خلال السنة ثم تحلى بيسير للانتفاع بها في موسم الحج وخدماته .

الحركة :

٣ - وكما يجعل البناء طوابق فكذلك تيسر حركة المواصلات فيها داخلياً بتيسير الحركة منها والى خارجياً ، بطرقات يعلو بعضها بعضاً حسب الحاجة ، (على نحو ما جرى من ذلك بعضه) . ونلاحظ هنا ما لاحظناه في عرقات او مزدلفة بأن في مشارفها توسعة بالامتداد اليها عند الضيق .

يضاف كذلك إلى ما سلف ملاحظة يسر الاحكام الشرعية في هذا المبيت وتعدددها وفي سعة المجال للذبح في مكة فهي منحدر مثل منى من الناحية الشرعية ، وفي مكة من الضعفاء والفقراء والعجزة من لا يصل اليه شيء من لحوم الذبائح بعمى ...

الرمي :

أما زحمة الرمي فهي أبرز مظاهر الزحام . وإن ما تم لها من طرقات أرضية وهلوبية معلقة وخاصة منها ما يسر الرمي من الطريق المعلق (الجسر) فان ذلك من الخطوات الطيبة المشكورة التي يمكن التوسع فيها وتعدادها .

وان تنظيم السير فيها يقتضي أن يتم بالاتجاه الموحد للطريق الارضي والجسر العلوي المخصصين بين الجمرات للرمي .

أ - وهذا ما يقتضي أن يجعل اجتياز طريق الجمرات الارضي عرضانياً اما بطريق علوي معلق أو بطرق من دون الارض حتى لا يعرقل السير ، المصادمة من جراء اختلاف الاتجاه .

وان مثل هذا التنظيم للسير (في مقسم بعد مقسم من أرضها) ومن شارع الى آخر (كما تنظم على نحو ذلك عادة معابر الطرقات والشوارع المتقاطعة في في المدن الكبيرة المزدحمة ...)

وان في ذلك ما يسر أيضاً تنظيم الرمي على أهل كل شارع ومقسم فيقسم الحجيج حسب منازلهم في منى زمراً زمراً ويجعل لكل زمرة ساعة للرمي يأتي غيرها من بعدها في ساعة أخرى ..

أ - وان في اتساع الوقت تيسيراً للتنظيم بعد ان اخذنا بمذهب من لا يحصر وقت الرمي من الزوال إلى المغرب .

ب - اضيف الى ذلك سر أحكام المبيت في منى ، فهو سنة عند الحنفية ويكتفي ببعض الليل عند من يرى وجوبه ، ولهذا يستطيع الحاج البقاء بعض الوقت حتى بسيارة يقبل فيها ويعود دون أن يضطر الى خيمة ولا تخيم ...
- وان من سعة الاحكام وتيسيرها كذلك جبر المبيت عند المذاهب التي ترى وجوب المبيت (بذبيحة) عند القدرة على ذلك .

وكذلك سر الرجم بحكمي من الجبر اضافة الى جواز التوكيل به .

ج - يضاف الى ما سلف (من باب الدراسة الفقهية) لوجوب التيسير على الناس ملاحظة نقاط ينبغي ان تعالج تفقهاً من قبل أعلام العصر (في مثل الرابطة الاسلامية وغيرهم من الاكفاء الموثوقين في دينهم وعلمهم) .

أولاً : ما يستنبط من الاحوال المتعددة التي سأل عنها الصحابة الرسول ﷺ وكانت تلك الاسئلة في شأن منى ومناسكها ، فقد جنح ﷺ الى التيسير ، حتى أجاز كل سائل بما فعل من تقديم وتأخير ونحو ذلك .

هذا إضافة الى انه ﷺ أذن للرعاة وذوي الحاجات بعدم المبيت ولم يلزمهم بالجبر والذبيحة .

ثانياً : ان أمر المبيت والرمي في منى قائم بعلمته الشرعية على التفريغ لذكر الله والدعوة اليه وتعظيم الشعائر بدليل انه ﷺ أعفى من المبيت والجبر بسببه الضعفاء وذوي الحاجات والمرضى ، كأنما أنزل القيام بذلك منزلة (الواجب على الكفاية) ، فان صح هذا الفهم جاز تفقها أن يقصر الواجب في منى على من اتسع وادي منى لهم للرمي والمبيت أو الرمي ويجري حينئذ هنا حكم القاعدة الاصلية بالكفاية دون جبر ولا نسك .

رابعاً : في الطواف حول الكعبة :

وان طواف الافاضة (بعد الافاضة من عرفات) هو طواف الزيارة وهو الطواف الركن من الحج وان وقته متسع أيام العيد الاربعة يضاف الى ذلك أن في المذاهب الفقهية السائدة تيسير بامتداد الوقت ايضا الى نهاية شهر ذي الحجة بل وعند آخرين الى نهاية العمر !

أ - وبهذا الزمن المتأد سعة يتيسر فيها لنا بحال التنظيم وخاصة حين نأخذ بمبدأ تنظيم الحجيج بشكل جديد (كتنظيم قوافل الحجيج في عرفات قديماً أيام كان أهل كل قطر يختصون ببقعة ثابتة حسبما تدل عليه مصورات عرفات السابقة ، ويصبح ممكناً تقسيم الحجيج والزمن للطواف فيحدد أيام الزحام الشديد) على نحو ما أسلفنا للرجم في منى (بتنظيم هذا الاقبال على الطواف باوقات تخصص بحسب تقسيم أحياء مكة ، فيقبل المقبلون من حي بعد حي كل بحسب الوقت المخصص لهذا الحي ومن فيه .

ب - هذا الى جانب ما سلف بمجئه ص ٦٤ من امكان تعدد المطافات حول الكعبة المشرفة بديل قصرها على المطاف الواحد القائم من حولها .

وبهذا ونحوه من شؤون التنظيم تحل أزمة الزحام في الطواف (زمانياً ومكانياً) ونحافظ على وضع الكعبة المشرفة بشكلها البارز الحاضر الواضح منظره دون أدنى تغيير باي شيء من ذلك .

خامساً : الزحمة في الحرم أيضا

١ - الصلاة ركعتي الطواف عند مقام ابراهيم .

٢ - ولبشر زمزم .

وان كل مزدحم في المكان تحل مشكلته المكانية بأن يعدد له المكان طابقاً من فوق الارض أو دونها في المسجد الحرام نفسه دون أي تعديل أساسي للوضع الراهن ففي بنائه الحاضر ، وانما تجعل الطوابق له بشكل يناسب الحاجة وحال الازدحام .

كأن يجعل في الموقع الذي صلى فيه الآن الركعتين قبو بطبقة أو اثنتين

ينزل إليه (كما ينزل إلى بشر زمزم) كما يمكن في مثل ذلك يجعل طوابق فوق أرضه ، فيصبح على ذلك أضعافاً مضاعفة رغم أن مشكلة هذا المزدحم طافية لاخطر منها لأن صلاة الركعتين للطواف حينئذ ممكنة ميسرة وجائزة . . وما هذا الازدحام إلا من باب الأولوية يعالج بالتوجيهات والتوعية والتنظيم .

زحمة بشر زمزم :

وكذلك الحال فيها ، فإنه لا خطر منها ولا أهمية لها وحسبنا من الوضع الراهن بعض التعديل بأن ترفع صنادير الماء من صدر مكانه ويقسم الثلث من أوسط المنزل الراهن فيجعل مكاناً للخروج ويجعل الثلثان الباقيان بمنة (عند النزول) للرجال ويسرة للنساء ، حتى إذا وصل النازل لآخر صنبور مع الدرجات وجد مداره في الصدر للخروج من الاوسط باتجاهه الموحد للرجال والنساء وذلك ليسر الخروج بخلاف الدخول لطلب الماء والتوقف له .

أ - وقد يقتضي هذا التعديل ان يوسع المنزل الحاضر بحيث يجعل مقسمين : الاول الرجال والثاني للنساء في صعود ونزول مستقلين .

ب - ومن اليسير إضافة إلى هذا الاستفادة من بعض غرف الاقبيبة والزمازمة توسعة لأخذ الماء والوضوء دون النزول إلى محل البئر نفسه .



هذا هو الحج بأهميته وعبادته ومنافعه وحاجاته وحل مشكلاته وكلها تنتظر من العاملين المخلصين جداً .

ونحن نسأله سبحانه وتعالى أن يوفق جلالة الملك خالد آل سعود وحكومته وشعبه لتحقيق الاماني الغالية وبذلك رفعة العرب وذكورهم وعزة الاسلام وأهله .
« وفيه العزة ولرسوله وللمؤمنين » حقاً

الحامي

والحمد لله رب العالمين

محمد بن كمال الخطيب الحسني

مدير جمعية التمدن الاسلامي ومجتمعاتها بدمشق